أحداث من الديرة تلخص معاني الجيرة

مكارم بني مالك بجيلة في الإجارة عبر العصور



قصص حقيقية من واقع التاريخ

بندر بن عبدالله بن شدّاد

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد و على آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين .



نسبها وتاريخها ومواطنها



الحديث عن قبيلة بحجم قبيلة بجيلة بما يمثله تاريخها من ثقل يحتاج لكتاب مستقل بل مجموعة من الكتب ولكننا هنا سنضع رؤوس أقلام تعريفية مختصرة قدر الإمكان عن قبيلة بجيلة ووريثتها بني مالك الحجاز التي لاتعد سوى بطون صغيرة من بطون أكثر عددا خرجت بفعل الفتوحات الإسلامية وأستقر بعضها في بلدان عدة وعاد البعض الآخر وأنتقلت في الوقت ذاته بطون آخرى متعددة ودخلت في تحالفات مع قبائل عربية عدة نتيجة الحروب فيما بينها .

لذا ليس من قبيل المبالغة لو أشرنا إلى أنها تعد من كبرى القبائل في الجزيرة العربية بل أنها أول القبائل التي أستقرت على جبال الحجاز والتي تعد بمثابة العمود الفقري للجزيرة العربية وأحتفظت قبيلة بجيلة بمسماها التي تعرف به من الاف السنين حتى مايقارب ثلثمائة سنة ونيف مضت وسميت سراتها أيضا (سراة قسر) وفي صدر الإسلام عرفت بأسم (سراة بني جرير) نسبة إلى الصحابي الجليل جرير بن عبد اللّه البجلي وفي ذلك قال الشاعر أبن نوفل :

تمنى الفخر في قيس وقسر
كـأنـك من سـرّاة بـني جـرير

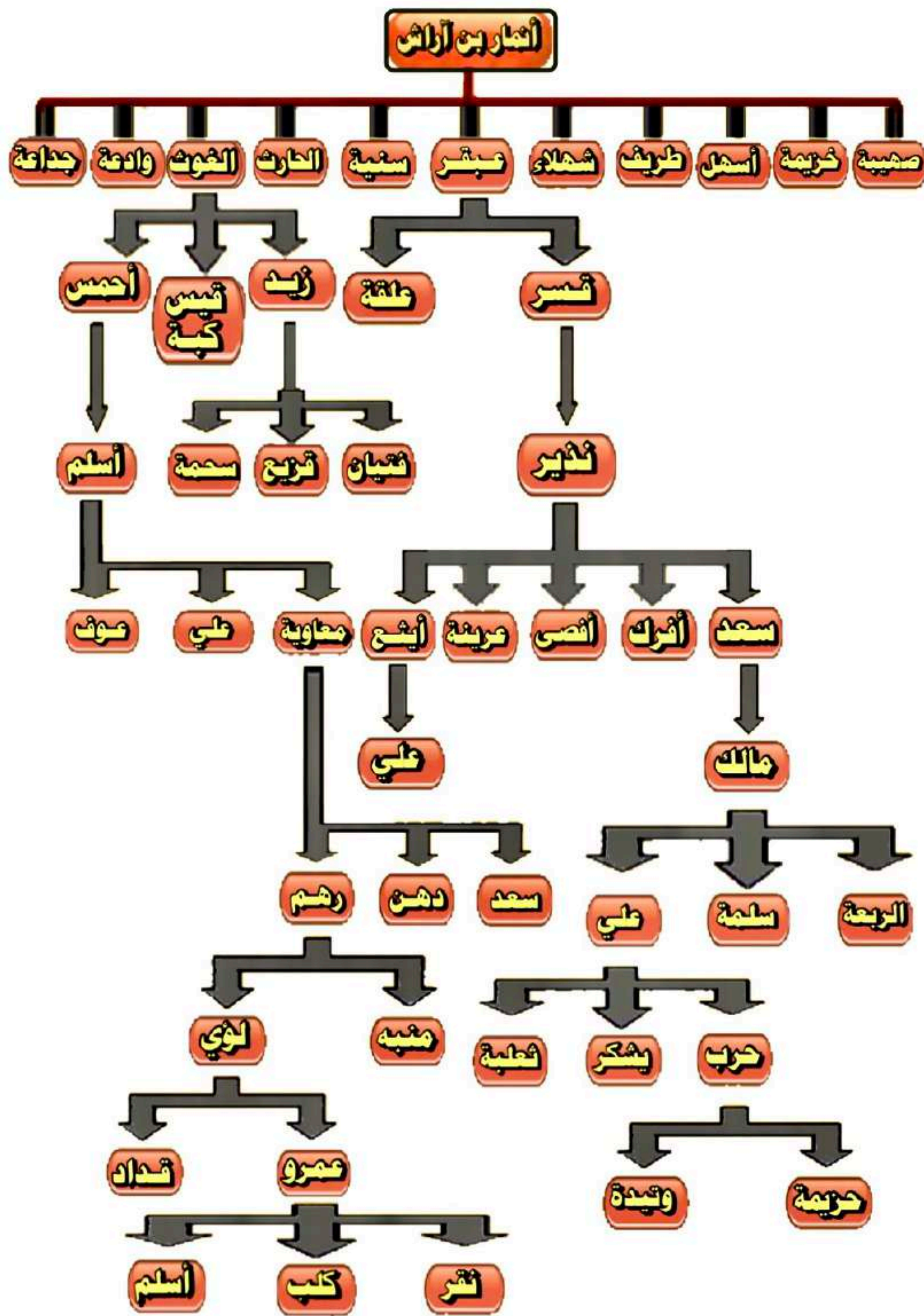
يرجع سبب تسمية ونسب القبيلة إلى مسمى بجيلة إلى قوم عمرو بن الغوث فعندما تزوج آراش بن عمرو بن الغوث بسلامة بنت أنمار بن نزار بن معد بن عدنان رزق منها بأبن بكر سمته أمه بأسم أبيها (أنمار) ومالبث أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد من كهلان زمن حتى تزوج هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن عك وأنجبت له بكره أفتل والذي لقبوه (خثعم) ولم يلبث أنمار زمن آخر حتى تزوج بجيلة وهي بنت صعب بن علي بن سعد العشيرة وكانت أمرأة ولود فولدت الأبن البكر وسمته سعد نسبة إلى جدها سعد العشيرة ولُقّب بأسم (عبقر) لكونه ولد على جبل في أراضيهم يقال له عبقر ثم أتبعته بمجموعة من الأبناء وهم الغوث ووادعة وصهيبة وخزيمة وأسهل وشهلاء وسنيّة وطريفا والحارث وجداعة .

كان عدد أبناء بجيلة من الكثرة مما دعى قومهم لتسميتهم (بنو بجيلة) للتفريق مابينهم وبين أخوهم خثعم وأستمروا على هذه التسمية حتى وقتنا الحاضر.

تنقسم قبيلة بجيلة وكذلك سليلتها (بني مالك الحجاز) التي ورثت عنها أماكنها وأراضيها القديمة إلى فرعين فرع يقطن في أعالي جبال السروات وهم الأغلبية بينما يعيش الفرع الآخر في تهامة الحجاز ويرتبط القسمين بعضهما البعض بأواصر القربى والنسب والتاريخ المشترك .

المصادر:

- كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبن جرير الطبري
- كتاب المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب
- كتاب الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني
- كتاب معجم ما أستعجم لأبو عُبيد البكري



نسّب قبيلة بجيلة

ماهي الجيّرة

وماهي مسمياتها ومدتها

الجيّرة عادة عربية ضاربة في القدم تحمي بموجبها القبيلة العربية أو فردا منها أشخاص لاجئين مضطهدين طلبا للحماية من سلطة القوي وهي السلطة السائدة وقتها وقد تضطر الظروف الأقتصادية معوّزا فيلجأ لقبيلة ما ويستجير بها هربا من الفقر.
ويطلق على الجيّرة أيضا مصطلحات آخرى مثل الدخّالة والدخّيل هو المستجير.

ويستشهد البعض بمشروعيتها عودة إلى قول المولى تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) وكذلك ماورد عن النبي صلى اللّه عليه وسلم من قول عند فتح مكة (من دخل بيت أبى سفيان فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل تحت لواء ابن رويحة فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن) .

كما يرى فيه البعض أسوة باستجارة النبيّ محمد صلى اللّه عليه وسلم بالمطعم بن عدي حينما خرج من الطائف قادما إلى مكّة .

وذكرت عدة مراجع إن للجيرة مدّة محددة تختلف باختلاف الجناية والجرم الذي ارتكبه المستجير، فتكون أربعة عشر شهراً في القتل، وستة أشهر في ما دونه من إصابة مثل الكسور والجروح الخطيرة، وثلاثة أشهر في قضايا الضرب وغيره من الاعتداءات الأقل ضررا .

ومما لايختلف عليه كُثر فإن حفظ الجوار من موروثات الأخلاق العربية الأصيلة لهذا كان له حرمته الكبيرة عند معظم قبائل العرب وبالذات في مرحلة ماقبل الإسلام لما فيه من نصرة للضعيف المستغيث من جبروت القوي المتسلط فإذا أستجار شخص ما بشخص آخر وقبل ذلك الشخص أن يجعله جارًا ومستجيرًا به

وجبت عليه حمايته وحق عليه أن يدافع ويذود عنه بشراسة ولو أستدعى الأمر تقديم روحه من أجل هذا الأمر وإلا عدّ ناقضًا للعهد ناكثًا للوعد مخالفًا له وفي هذا قال شاعرا جاهلي يلقب بالمشؤوم*:

وَلا تحسَبنَ جاري إلى ظِلّ مَرخَةٍ

وَلا تحسبنه فقع قاع بِقرقر

وَكُنت إذا جاري دَعا لِمضوفة

أُشَمّر حَتّى يَنصُفَ الساقَ مِئزري

حتى يصل إلى الأبيات التالية :

لَقد عَلمت هُذيل أنّ جاري

لَدى أطراف غَينا مِن ثبير

أحُصُ فلا أجيّر وَمِن أجِرهُ

فليس كَمن تدلّى بالغرور

لَكم جيرانكم وَمَنعت جاري

سَواءِ لَيس بالقسم الأثير

وقد بلغ أهتمام العرب بحق الجوار مبلغه حتى وصل بهم الأمر إلى تقديم حق الجار الغريب (من خارج القبيلة) على حق الجار القريب ويعدونه أولى وأحق بحق الجوار وفي هذا يقول الشاعر علقمة الفحل* :

فلا تحرمني نائلا عن جَنَابةٍ

فإني أمرؤ وسط القباب غريبُ

ومما ذكره الشاعر المالكي القديم عمر بن شعتور* (رحمه اللّه تعالى) :

واللّه وأنا عمر ماني بسياب(ن) مقطّع وجّـاب

وأن بيتي مزار الضيف ميعاد(ن) لشرب(ن) ولا كلا

وهو أمرا تطرق له أيضا شاعر الحكم والنصائح غرم اللّه الحميم* (رحمه اللّه تعالى) في معرض نشيد طويل تضمنه هذين البيتين :

ولا أنا قايل من الشر مجّار
وهو ما يحتمي جار(ن) ودار
قليل الأصل عساه الكسَار
ولا تنفع حياته والمماتي

وقال الشاعر المنصري* (رحمه اللّه تعالى) :

والعيب من يقصر عن الربع فرقته
إلى شار مابين الرجال مشير
والعيب من يرقب لخلّة جاره
في الجيران عيب(ن) كبير

*المشؤوم : أبو جندب الهذلي شاعرا جاهلي يعود إلى قبيلة هذيل .

علقمة الفحل : علقمة بن عَبَدة التميمي ويعدّ من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية .

*عمر بن شعتور: من الشعراء القدامى في بني مالك وقد كانت له مساجلات مع شعراء جيله القدامى مثل محمد بن سعد القرادي المالكي وأبن ثامرة الزهراني وعبداللّه بن زحاف المالكي وجميعهم عاشوا وماتوا (رحمهم اللّه تعالى) قبل عهد الدولة السعودية بزمن .

غرم اللّه الحميم : من شعراء النخبة في بني مالك والمنطقة القدامى وأشتهر بقصائد الحكمة التي تناقلتها الألسن ولازالت تتداول حتى عصرنا الحاضر (رحمه اللّه تعالى)

المنصري : أحمد بن عبداللّه بن جمعان المالكي وهو أيضا شاعر من شعراء الطبقة الأولى في بني مالك وله مساجلات مع شعراء عدّة (رحمه اللّه تعالى)

بجيلة عند الشمس أو هي فوقها

وإذ هي كالشمس المضيئة يطرق

الفرزدق

مكارم بجيلة منذ الجاهلية

حتى وقتنا المعاصر



قبيلة بجيلة من القبائل العربية التي لايأتي ذكرها إلا ويقترن في أذهاننا تاريخٌ مشرق من الأمجاد أمتد منذ عصور الجاهلية الأولى قبل الاف السنين ممتدا حتى وقتنا المعاصر .

فلها من المآثر والمكارم الأخلاقية الكثير شأنها كشأن بقية القبائل العربية حتى قيل أنها أول من أجار الطير في السماء والعابرين في الأرض ولإجارتهم لطير السماء قصة رغم كونها مؤلمة ودامية ومفصليّة فلقد كانت أحدى الأسباب في تقليص نفوذ قبيلة بجيلة التي كانت تسيطر على أجزاء كبيرة من جبال الحجاز وتهامة ولعل هذه الحادثة كانت شرارة أنطلقت وأدت حوادثها فيما بعد لتقلصها كقوة مهيمنة على السروات وتهامة وهو أمرا سنتطرق له فيما بعد

وسنتناول هاهنا ماوثقه الكتّاب والمؤرخون عن مأثرة تميزوا بها ونثرت لأجلها الأشعار مدحا وفخرا تتمثل في إكرام الضيف وحماية الجار والتي كانت من مكارم غالبية قبائل العرب إلا أن قبيلة بجيلة أنفردت بكونها قامت بأبتداع وسّن قوانين إضافية تتكفل من خلالها بحماية وأكرام الجار والضيف وألزموا أنفسهم بها فنالوا من خلالها مدح الشعراء وتمجيدهم بها يضاف لها ثناء باقي قبائل العرب .

تميزت قبيلة بجيلة بكون أنهم إذا نزلَ بهم ضيف أو عابر سبيل أو جاورهم جار عمدوا إلى ماله فأحصوه، ودفعوه إلى ثقة ، فإن مات له شاة أو بعير أخلفوه عليه حتى ينصرف موفوراً ، فإن مات المستجير أو أحدا من أهله وولده قبل أن يصير إلى وطنه ودوه (أي دفعوا ديته)

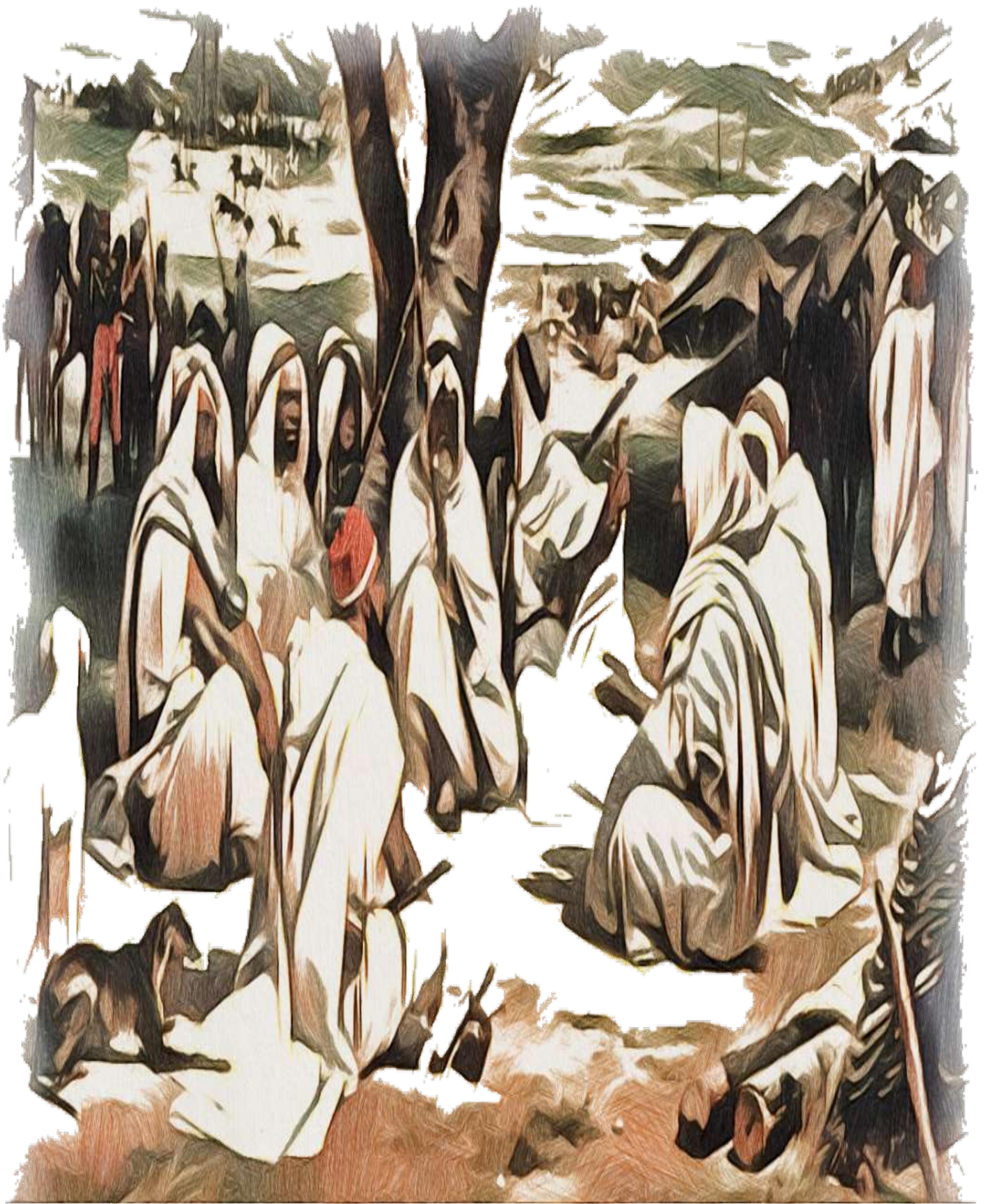
وإن قتل أيضا هو أو أحدا من أهله أو ولده طالبوا بدمه وثأروا له وفي هذا قال الشاعر الجاهلي عمرو بن الخثارم البجلي مفتخرا بقومه ومأثرهم :

ألا مَنْ كان مُغتربا فإني
لغُربتِه على أفصَى دليلُ
يعينون الغنيَّ على غناه
ويثرو في جوارهم القليلُ

- **عمرو أبن الخثارم البجلي : يعود إلى بني أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر من أبناء أنمار.**

المصادر /

- **كتاب المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي**
- **كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبن جرير الطبري**
- **كتاب معجم ما أستعجم لأبو عُبيد البكري**
- **كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي**
- **كتاب معجم الشعراء للمرزباني**
- **كتاب من أسمه عمرو من الشعراء**
- **كتاب الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني**
- **كتاب الأنساب للصحاري**
- **كتاب المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب**



وأكد الشاعر الأخطل هذه المكارم الرائعة والفريدة في الوقت ذاته ضمن قصيدة رائعة تعد من روائع الشعر العربي قالها في مدح القائد الصحابي جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه وقومه ثناء على مكارمهم :

حَلّت سُلَيمى بِدَوغانٍ وَشَط بِها
غَربُ النَوى وَترى في خُلقِها أَوَدا
خَود يَهشُ لَها قلبي إذا ذُكِرت
يَوما كَما يَفرَحُ الباغي بِما وَجَدا
إنّي اِمتدحتُ جَريرَ الخَيرِ إنَّ لَهُ
عِندي بِنائِلِهِ الإحسان وَالصَفَدا
إنَّ جَريرا شِهابُ الحَربُ يَسعَرُها
إذا تَواكّلها أصحابها وَقدّا
جَرّ القنابل مَيمُون نَقيّبَتهُ
يَغشى بِهِنَّ سُهُول الأَرضِ وَالجَدَدا
تحَمله كُلّ مِراده مُجَلّلة
تخَالُ فيها إذا ما هَروَلت حَرَدَا

عُـوج عَنَاجيـح أو شُهب مُقَلِّصَةٌ
قَـد أورَثَ الغَزوُ في أصلابِها عُقَدا
ماضٍ ترى الطيرَ تردي في مَنازِلِهِ
عَلى مَزاحيـف كانَت تَبلُغُ النَجَدا
يَومَ قُضَاعـة مَجـدوع مَعاطِسُها
وَهَـو أشَـمّ ترى في رَأسِـهِ صَيدا

إلى أن يصل إلى قوله :

صافى الرَسولَ وَمِن قومٍ هُمُ ضَمِنوا
مـال الغَريبِ وَمَن ذا يَضمَنُ الأَبَدا
كـانـوا إذا حَلّ جَـارٍ في بـيـوتـهـم
عـادوا عَلَيهِ وَأَحـصّـوا مالَهُ عَدَدا
فـقـد أجَـاروا بِإذنِ اللَهِ عُـصّبـتَـنا
إذ لا يَكَاد يُحِّـب الوالِـدِ الـوالـدُ
قومٌ يَظَلّونَ خُشعاً في مَساجِدِهِم
وَلا يَديـنُـونَ إلّا الواحِـدّ الصَمَدا

*الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت التغلبي وهو بجانب جرير الخطفي والفرزدق الثلاثة المتفق على أنهم أشعر شعراء عصرهم .

المصادر /

- كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد
- والمواضع لأبو عبيد البكري
- كتاب ديوان الأخطل
- كتاب شرح نقائض جرير والفرزدق لابوعبيدة معمر بن المثنى
- كتاب الأخطل لفؤاد بستاني
- كتاب رأس الأدب المكلل في حياة الأخطل لعبد الرحيم بن محمود مصطفى
- كتاب الأخطل لحنا نمر

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

الشيــخ البــجلــي

والصعلّوك الفتاك



كانت للجيرة لديهم منذ القدم قداستها التي قد تنفك حياتهم دون أن تنفك ولعل ما ذكره محمد بن حبيب النسابة (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (المتوفى 245هـ) في كتابه المحبّر عن قصة حدثت فصولها في العصر الجاهلي مابين شيخ بجلي وصعلوكين فاتكين هما ثمامة بن المستنير السلمي ومعاوية بن الحارث الجشمي وكيف أنه أجارهما والتزم بالوفاء معهما برغم غدرهما به .. أما أحدهما فقد كان (ثمامة) بن المستنير السلمي ثم الظفري والآخر (معاوية) بن الحارث الجشمى إلا أن ثمامة كان صعلوكا يعد من دهاة صعاليك العرب بل ومن أشدهم نفسا وفتكا وكان يغزو على قدميه مشترطا على من يريد الغزو معه شرطا تعجيزيا مبدئه .. أن لا أعصيك إذا أمرتني ولا تعصيني إذا أمرتك .

وروي أنه لم يسبق أن غزى معه أحدا وعاد إلى أهله سالما فلا يلبث حتى يقتل وعلى هذه الحال مكث يغزو لوحده فترة من الزمن إلا أنه في أحد الأيام صدف أن أتاه معاوية بن الحارث الجشمي أحد صعاليك بني جشم أبن معاوية وفتاكيهم المعروفين فخرج حتى أتى ثمامة في منزله قائلا له : أنى أريد الغزو معك .

فقال: أما أنه قد حان غزوي .. ولكن الغزو معي شديد فهل لك في خير من ذلك..؟

قال: وما هو..؟ قال: أعطيك قطعة من مالي تغنيك وتعود إلى أهلك .

قال : من هذا فررت ..

ولكني أخرج معك في غزوك .

قال: إذن لابد أن تضع في حسبانك ماأشترطته وأنه من خرج معي لم يعصني في شيء آمره به وان كانت هلكته فيه ولم أعصه في شيء وإن كانت هلكتي فيه .

قال: فذاك لك .. !!

وخرجا على أقدامهما حتى توغلا في بلاد بجيلة فأصبحا ذات يوم في بعض أرضهم، فدخلا في غار ليمسيا وينطلقا ، فبينا هما في ذلك الغار إذا هما برجل موف على قرن جبل ينادى بغوثه (ينادي بصوت عال) فقال أحدهما لصاحبه: " أتراه علم بمكاننا ..
وجعل الناس يثوبون إليه حتى كثروا عنده وهما ينظران ويسمعان ، حتى إذا رضي بمن أجتمع إليه قال: ألا تسمعون..؟
أني قد قفوت أثر رجلين جازا الوادي البارحة وقد ظننت أنه أثر ثمامة بن المستنير وصاحب له ، فأحذروا على أنفكسم ومواشيكم ولا تسرحن ماشية إلا ومعها ناس ، ولا يخرجن رجل وحده حتى تأمنوا هذا الخبيث ويخرج من بلادكم .

ثم أنصرف وأنصرف الناس فقال ثمامة لصاحبه: هل رأيت رجلا أثبت بصرا ولا أحزم وصية من هذا..؟
قال: ما رأيت مثله
قال ثمامة :إذن فأنطلق وأتني به
قال: ما هذا ؟ وكيف آتيك به ؟ فواللّه مارأيت في العرب مثله ..
فقال ثمامة:هو ذاك ما بد من أن تأتيني به .. ولو بدأت فأمرتني ان آتيك به لجئت به أو مت دونه .

فأدرك معاوية حينها مدى دهاء ثمامة ولماذا لم يعد معه أحد أثر غزواته السابقة فهمهم وهو خارجا من الغار وأخذ سيفه منطلقا ومتذكرا ماذكر من مكرمة بجيلة في إجارة العابرين وحث خطاه حتى كاد أن يطلع على الحي فعمد إلى سيفه ودفنه من وراء قفارة تحول بينه وبين الحي ،.

ثم أقبل يمشى متخللا للبيوت سائلا إياهم عن بيت سيدهم فدلوه حتى أنتهى إلى شيخ القبيلة وفوجىء إذا به نفسه صاحب الغوث بقومه فدنى منه مستغيثا قائلا: أنا رجل من جهينة من قضاعة ومعي أب شيخ كبير وأم لي عجوز وأخت ومعنا مالنا وقد أردنا الجوار فيكم فأجرنا .

قال البجلي : لك ذلك .. فقد أجرتكم ..!!

قال: فأجعل لي حرمة بك (يقصد طعاما يتحرم به) فقدم إليه تمرا فأكل منه ثم قال : إن أبي لا يصدقني ولا تطمئن نفسه إلى قولي ، فهل لك أن تنطلق معي إليه فيراك ؟

قال: أفعل ..

وأنطلق معه من حينه حتى إذا توارى بالقفارة ثم أبتحث السيف والتفت بشكل مفاجيء لمجيره البجلي قائلا: واللّه لاضربن به رأسك أو لتنطلق حيث أمضي بك .
فوافقه البجلي وخرج معاوية به يسوقه بسيفه حتى صار به إلى الغار وأدخله معه فيه وأجلسه إلى جنب ثمامة فقال: دونك .
فقال الشيخ البجلي: أؤأنت ثمامة..؟
قال: نعم أنا ثمامة .
فقال متهكما : أراني أحذر الناس منك ووقعت في يدك..!!
قال ثمامة: إذن إفتد نفسك .

حينها لم يرد الشيخ أن يبخص قدر نفسه فوافقهم قائلا : نعم .. لكما ماأردتم سأفتديها بسبعون ناقة .
فتهلل وجه ثمامة قائلا : فأعطنا عهدا لتجمعنها إلى أن نمر بك راجعين وأعطنا أيضا

أمانا عليك حتى نخرج من بلدك وأمانا حين نرجع إليك ".
قال: لكما بذلك اللّه ..!!

فخرجا ماضين لوجهتهما وأصابا مالا ثم لم يلبثوا فترة من الزمن حتى رجعا مارين على الشيخ البجلي يذكرانه بعهده فقال واللّه لولا عهدا قطعته وجيرة نذرتها لبترت هامتيكما ولكن خذوا على ماقطعته لكما سبعين ناقة .. فخرجا يسوقان ذلك كله .

العهود لاتنقض والجيرة لاتخفّر ولكن يبدو أن ماحدث من غدر وتغرير لم يرق لبعض رجال بجيلة وعلى إثر ذلك قام الحصين بن عمرو الأحمسي البجلي وخرج في بعض قومه مغيرا على بني سليم وقام بسلب أنعامهم وخرجوا في طلبه وأدركوه في مكان يقال له الشقرة وفيه أقتتل الطرفان وهُزمت بنو سليم شر هزيمة وقتل زعيمهم .. الأمر الذي دعى الشاعر الأزور البجلي للقول :

لقد علمت بجيلة ان قومي
بني سعد أولي حسب كريم
هم تركوا سرّاة بني سَليم
كأن رؤوسهم فلّق الهشيّم
بكلِ مهندا وبكلِ عُضبِ
تركناهم بشقرة كالرميم
وآبنا قدّ قتلنا الخير فيهم
وآبوا موتريّن بلا زعيم

المصادر /

- كتاب المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي
- كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي
- كتاب الأغاني لأبوالفرج الأصفهاني

حرب عرينة وبنو أفصّى

(حرب الحداة)



هي إحدى الحروب الشهيرة في تواريخ العرب القديمة شأنها كشأن حروب مماثلة تطرق لها أهل التاريخ وتم ذكرها ضمن سلسلة من حروب العرب المطولة في الجاهلية وكانت فيها القبيلة المعتدى عليها تتربص بالقبيلة المعتدية حتى تسنح لها فرصة الإغارة عليها ورد الثأر وكانت الأعراف القبلية تفرض على القبيلة التي قتل أحد رجالها أن تثأر له مهما يطل الأمدّ وإلاّ لحقها العار أبد الدهر وفي بعض الأحيان كانت القبيلة تقنع بقبول الديّة لقاء قتلاها حقناً للدماء كالذي حدث في حرب داحس والغبراء فقد أحتمل الحارث بن عوف وهرم بن سنان ديات القتلى فأطفآ بذلك نار الحرب بين حيّي عبس وذبيان، وكلاهما من غطفان .

ولما للشعر والشعراء من مكانة عند العرب بصفته واجهة إعلامية مؤثرة ومن خلالها قد ترتفع قبائل وينخفض بالمقابل شأن قبائل آخرى فلقد كان للشعراء دورا كبيرا في حثّ أقوامهم على القتال وطلب الثأر أو الصّلح فإذا عجز قومهم عن ذلك هجوهم كما فعل الشاعر قَريط بن أنيف التميمي مع قومه من بنوالعنبر من تميم حين لم ينجدوه وخذلوه وقت أن أستغاث بهم ليستنقذوا إبله التي سلبها بنو ذهل بن شيبان مما دعاه للأستنجاد ببني مازن والذين والذين أجابوه إلى ما سَألهُم وأغَاروا على بني شَيبان ونُهبُوا منهم مَائة من الإبل ودَفعوهَا إليه فقام بإمتداح شَجاعَة بني مازن وهجو قومه .

وتضمن قصيدته أمنيته لو كان من بني مازن بدلا من قومه فقال :

لو كُنتُ من مَازن لَم تستَبِح إبلي
بنُواللَّقِيطةِ من ذُهل بنِ شيّبنا
إذَن لقَام بنصري معّشرا خشّنٌ
عند الحَفِيظةِ إنّ ذُو لوثّةٍ لّانا
قومٌ إذا الشَّرُ أبدَى نَاجِذَيهِ لَهم
قاموا إليهِ زُرافاتً ووحدانا
لا يسألُون أخاهُم حِينَ يندُبُهم
في النَّائِبَاتِ على ماقال برهانا
لكنّ قومي وإنّ كانوا ذَوي حَسَبٍ
ليسوا من الشَّر في شَيءٍ وإنّ هَانّا
يجرون من ظلمِ أهلِ الظُّلمِ مَغفِرةً
ومن إساءةِ أهلّ السُّوءِ إحسانا
كأنّ ربُك لَمّ يخلق لخَشيته
سواهم من جَميع النّاس إنسانا
فلّيت لي بهم قوّما إذا رَكِبّوا
شدّواَ الإغارة فُرسانا ورُكّبانا

لهذا كما أسلفنا كان للشعراء دورا كبيرا في نشوب المعارك وإضرامها والعكس فبعضهم كان ينشط في مجال الصلّح والسّلم .
وقد شارك كثيرا من الشعراء مع أقوامهم في الغزو والقتال وكما هم شعراء فهم أيضا فرسان مقاتلون في الوقت ذاته ونتذكر منهم عنترة بن شدّاد وعامر بن الطفيل ودريد بن الصِمّة وعمرو بن كلثوم وقيس بن الخطيم الذي كان في الجاهلية يقود حروب قومه الأوس الطويلة ضد أخوتهم الخزرج .

وهي حرب مطولة خرج من أجل الظفر بها أحد سادة الأوس وشاعرها قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو الأوسي من يثرب (المدينة المنورة) قاصدا قبيلة بجيلة في جبال الحجاز لما لها من سمعة تختص بجانب شراستها في الحروب إلى نجدتها لكل ملهوف وأستنجد بكرز

الأعنّة وهو أحد سادة العرب وشجعانهم في الجاهلية وأسمه كرز بن عامر البجلي .
والذي لبى طلبه وخرج هو وكثيرا من قومه بجيلة لنصرته في حربه ضد الخزرج حتى أنتصروا فقال عنه قيس بن الخطيم مادحا :

فإن تنزل بذي النجـدات كرز
تلاق لـديه شـربـا غـيـر نـزر
لـه سّجلان سّجل من صريح
وسّجـل رثيئته بـعتـيـق خـمرٍ
ويـمنــعُ من أراد و لا يـعــايا
مقاما في المحلة وسط قـسـر

الجدير بالذكر أن حرب الأوس والخزرج أستمرت على شكل معارك متقطعة حتى دخول الإسلام وكان (يوم بعّاث) آخر أيام الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الإسلام وأتفقت الكلمة وأجتمعوا على نصر الإسلام وأهله .

أيضا سبقها بزمن حرب مطولة مابين بطنين من بطون بجيلة وهما بطن أحمس أبن الغوث أبن أنمار وبطن زيد بن الغوث أبن أنمار .

وقد وقعت بينهما حربُ دامية طال أمدها كانت الغلبة فيها لقبيلة زيد التي قتلت أحمسا حتى لم يبقى منهم إلا أربعون غلاما ، فأخذهم عوف بن أسلم الأحمسي وذهب بهم إلى قبيلة بني الحارث بن كعب فنزلوا معهم وجاوروهم وبقيوا إلى أن قويت شوكتهم فأغاروا ببني الحارث على قبيلة زيد فقتلوهم ونفوهم عن ديارهم ، ولم يبقى منهم الا القليل فرجعت أحمسا إلى ديارها .

كذلك كانت حرب مطولة مابين أبناء وائل قبيلتي بكر وتغلب وسميت (حرب البسوس) وأيضا حرب عبس وذبيان وهما بطنين من غطفان وسميت (داحس والغبراء) وهي حروب معروفة لاتحتاج للإعادة .

من الحروب القاسية القديمة ماتم مابين بطني قبيلة ثقيف الرئيسين قديما وهما الأحلاف وبنو مالك (ليس لهم صلة بقبيلة مالك بجيلة) ولقرب معاركهم ومحاذاتهم لأراضي بجيلة القديمة ولصلتها التاريخية بها فسنثريها ببعض التفصيل إذ كانت البدايات من الأحلاف وبصفتهم كانوا أكثر عددا وعدة من بني مالك فقد كانوا يعتدون على أراضيهم مابين آونة وآخرى وعلى إثر ذلك أثروا الأحلاف وكثرت خيلهم فحموا لها حمىً من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له جلذان، فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه، ولجت الحرب بينهم. وكان رأس بني نصر عفيف بن عوف ابن عباد النصري ثم اليربوعي، ورأس الأحلاف مسعود بن عنب.

فلما لجت الحرب بين بني نصر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب ابن عوف بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم من

ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف ،فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا.

وكان أول قتال كان بين الأحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف، وأقتتلوا فيه قتالاً شديدا .

فانتصر الأحلاف وأخرجوهم منه إلى وادٍ من وراء الطائف يقال له الحب، وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الأبان. ثم اقتتلوا بعد ذلك مسميات، منهن يوم غمر ذي كندة، من نحو نخلة ، ومنهن يوم كرونا من نحو حلوان، وصاح عفيف ابن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبلى منهم ألقت ما في بطنها، فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا. فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الأنصار على بني

مالك، فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو ابن عوف من الأوس، وكان أشرف الأنصار في زمانه، فطلب منه الحلف، فقال له أحيحة: واللّه ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط بحلف أو غيره إلا أقر لأولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه، فقال له مسعود: إني أخوك، وكان صديقا له، فقال: أخوك الذي تركته وراءك فارجع إليه وصالحه ولو بجدع أنفك وأذنك فإن أحداً لن يبر لك في قومك إذ خالفته؛ فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام، يعني الحصون، بالمدينة .

فبنى لمسعود بن معتب أطما، فكان أول أطمٍ بني بالطائف، ثم بنيت الآطام بعده بالطائف. ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكرو قالوا في حربهم أشعاراً كثيرة .

فمن ذلك قول محبر، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف:

وما كنت ممّن أرّث الشّر بينهم

ولكنّ مسعُودا جناها وجندبا

قريعي ثقي أنشبا الشرّ بينهم

فلم يك عنها منزعٌ حين أنشبا

عناقا ضروّسا بين عُوف ومالك

شديدا لظاها تترك الطّفل أشيبا

مضرمة شبّا أشبّا وقودها

بأيديهمَا ما أوريـاها وأثقبا

أصابت براء من طوائف مالكٍ

وعوفِ بما جرّا عليها وأجلبا

وأغلب الظن أن بقايا بطن بني مالك الثقفي هو المتواجد حاليا في قلب قبيلة بني مالك بجيلة ويعيشون منذ زمن طويل مابين ترعة وقها ولعلهم مع الوقت غيروا مسماهم وأنتسابهم إلى (قبيلة ثقيف) بدلا من بني مالك ثقيف للتفريق ومنعا للألتباس مابينهم وبين جيرانهم بني مالك بجيلة .

عانت قبيلة بجيلة من الحروب بين بطونها وكما تطرقنا لحرب أحمس وزيد كان هناك حرب آخرى دامية شديدة الوطيس سميت حرب الحدأة وطائر الحدأة يُعد من الطيور الجارحة من الفصيلة البازية التي تعيش فوق أعلى الجبال وقمم الأشجار العالية ودوما ما تشاهد وهي تحوم فوق الحقول والقرى وتعده العرب قديما بجانب الغراب والبوم من دلائل الشر والشؤم وبجانب شؤمه ففيه من اللؤم والخباثة الكثير بل ويعد من الفواسق وقد ذكره الرسول صلى عليه وسلم في حديث أكده صحيحي البخاري ومسلم: (خمس من الدواب كلهن فاسق، يقتلن في الحرم الغراب والْحِدَأَة والعقرب والفأرة والكلب العقور).

ولعلي مؤخرا لفت نظري أثناء حرائق الغابات في أستراليا مقطع غريب يتحدث عن ظاهرة حيّرت العلماء في أستراليا حيث إن حرائق الغابات بدأت تكثر وتمتد لأماكن غير متوقعة ومن غير وجود حرارة مرتفعة .

فلما درس العلماء في أستراليا هذه الظاهرة بتعمق مستعينين بكاميرات خاصة متوزعة في الغابات أنكشف السر الذي أبلغ عنه رسولنا الكريم صلى اللّه عليه وسلم قبل 14 قرناً مضت والسر يكمن في طائر يشعل الحرائق أسمه الحدأة وتم أكتشاف أن هذا الطائر من المدمرين للبيئة ومن الأسباب الرئيسية في القضاء على المحاصيل الزراعية وأيضا قتل الكائنات الحية وهو بذلك يلحق الضرر بنفسه لانه بقتله لها فلن يجد ما سيأكله لاحقاً ومن الأمور العجيبة التي وجدت من صفات هذه الطيور أنها تجتمع لتحتفل أبتهاجا بإشعال هذه الحرائق .

كما وتم الكشف عن أن هذا الطائر يعمد إلى نقل الحرائق إلى أماكن أوسع بغرض توسيع دائرة أصطياده وعندما يشتعل حريق صغير فإنه يقوم بأخذ أغصان مشتعلة وينقلها لأماكن آخرى وهكذا تتوسع دائرة الحرائق وتنكشف الحيوانات الصغيرة التي تلوذ بالهرب فيصطاد اكثر ..!!

بُهرت كثيرا وأنا أشاهد المقطع وهو يعرض بدقة كيف أن النيران المشتعلة بأستراليا كانت صغيرة الحجم ويمكن لقلة من رجال الإطفاء السيطرة عليها وإخمادها بسهولة .

إلا أن عشرات من طيور "الحدأة" كانت تقبل عليها، وكل منها يلتقط بمنقاره عشبة أو فرع صغيرا مشتعلاً ويطير به ليرميه في مكان به أشجارا كثيفه آخرى في المنطقة، وهكذا فالطائر تحول إلى مايشبه عود الثقاب الذي يتنقل هنا وهناك ليشعل النار في كل مايقابلة وبهذا فهو يأتي على الأخضر واليابس في زمن قصير ومن بعدها تخلو الساحة للطائر من أي عراقيل تعيق صيده، فيتمكن حين يحلق من رؤية ما يقتاته فيهوي إليه ويسد به جوعه .

قبل ذلك بقرون عديدة كان لطائر الحدأة نفس القدرة على الإشعال ولكنه أشعال من نوع آخر قام من خلاله بإشعال نار الفتنة والحروب بين بطون قبيلة بجيلة التي كانت تعيش بوئام ففي إحدى الأيام المشئومة من تاريخ القبيلة لحق صبية من بني أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بطائر حدأة وأصابوه بجراح ولكنه هرب منهم وظلوا يلّحون في ملاحقته حتى نزل على ديار عرينة بن نذير بن قسر وأستقر على دار أحدهم فخرج صاحب الدار وقال أنا لهذه الحدأة جار وتسمت تلك الحدأة بمسمى (جار العرني) .

ولهذا ذكرت العرب في تاريخها أن قبيلة بجيلة كانت أول من أجار طائر السماء ولعل هذا الموقف يثبت جليا عظم قدر الجيرة لدى قبيلة بجيلة .

ولعل التاريخ يذكر أن إجارة من في السماء وإن كانت لعرينة السبق فيها فهم أول من قام بها في تاريخ البشرية ولكنها قطعا لم تكن الأخيرة فقد ورد في تاريخ العرب مثل عربي يقول :

(أحمى من مجيّر الجراد)

ولهذا المثل قصة ذكرها أبن الكلبي عن أن رجل من طيء يقال له أبو حَنْبَل مُدْلج بن مُرّ بن سويد فخلا أبوحنبل ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيء ومعهم أوعيتهم فقال ما خطبكم قالوا جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه فركب فرسه وأخذ رمحه وقال واللّه لا يعرضن له أحد منكم إلا قتلته إنكم رأيتموه في جواري ثم تريدون أخذه فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس وطار .

فقال أبوحنبل شأنكم الآن فقد تحول عن جواري ويقال في مصادر آخرى إن المجير كان حارثة بن مرّ أبا حنبل وفيه يقول شاعر طيئ :

ومـنّــا أبــن مــرّ أبــو حــنـبــل
أجـار من الـنـاس رجـل الجـراد
وزيـــد لـنـــا ولـنـــا حـــاتــم
غياث الورى في السنين الشداد

نعود لقصة العرّني وجيرته لطائر الحدأة والذي كان يلحق به بعض صبية بنو أفصى ومابدأ أنه جُرح بدلالة أستقراره على دار العرني الذي خرج وأبعدهم عنه معلنا إجارته لهدا الطائر ولكن ماسعى لتأزيم الأمور أنه بعدها بفترة ليست بعيدة عثر العرني على طائر الحدأة ميتا وقد قتل بسهم أتضح بأن صاحبه من بني أفصى أخوان عرينة فثارت ثأئرة العرني وقصد هذا الشاب وقتله إنتقاما منه لكونه أنتهك جواره فلما علمت بنو أفصى

بالحادثة هبوّا للأخذ بثأر أبنهم والتقوا مع قبيلة عرّيتّة في حرب دموية طويلة لاتبعد في تفاصيلها عن رفيقاتها من حروب الجاهلية وأخذت وضع السجال بين الطرفين في البدايات وقتل فيها خلق كثير ولكن في النهاية وبعد زمن أنتصرت عرينة ولم يتبق من بني الأفصى إلا القليل ولعل هذه المعركة كانت سبب في ضعف شوكة بني أفصى لزمن طويل ولكن في الجهة المقابلة قويت شوكة عرينة ويبدو أن أعتزازهم بقوتهم هو ماجعلهم يتمادون ويتجبرون على باقي أشقائهم من قبائل قسر الأخرى الشيء الذي لاقى التضجر منهم وجعل بقية قبائل قسر تتحالف ضدهم وتعلن الحرب على عرينة .

دخلوا بعدها في دوامة طويلة آخرى من العراك الذي أنتهى بهزيمة عرينة وكسر شوكتها وقتل الكثيرين منها ومع أنتهاء المعارك قامت بجيلة بنفي من تبقى من عرينة من ديارهم وأخراجهم إلى خارج ديار بجيلة فشتت عرينة ولحقت بقبائل عدة منهم بنى جعفر ابن كلاب بن ربيعة ، وعمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ولحقت قبيلتان من عرينة غانم ومنقذ ابنا مالك بن هوازن بن عرينة ، بكلب بن وبرة، وانضمّت موهبة بن الرّبعة بن هوازن بن عرينة ، إلى بنى سليم بن منصور. ودخلت أبيات من عرينة فى بنى سعد بن زيد مناة بن تميم. وصارت بطون سحمة بن سعد بن عبد اللّه بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، ونصيب بن عبد اللّه بن قداد ، فى بنى عامر بن صعصعة . *

وقد ندب أحد شعراء بجيلة هذا التفرق الشنيع بين بطون بجيلة الا وهو عوف بن مالك بن ذبيان القسري فقال أبن الكلبي :

أجتمعت قسر على عرينة فأخرجوهم من ديارهم فقال عوف بن مالك بن ذبيان القسري حين بلغه أمرهم :

وحدثت قومي أحدث الدهر بينهم
وعـهـدهـم بـالـنـائـبـات قـريـب
فـإن يكّ حـقـا ما أتـاني فإنـهـم
كـــرامُ إذا مـالـنـائـبـات تـنـوّب
فقـيـرهـم مـدني الـغـني وغـنـيهـم
لـه ورق لـلـمتـعـفـيـين رطـيـب
ونـبـئـت قـومي يـفـرحـون بهلاكهم
سـيـأتـيـهـم من النائبات نـصـيـب

وأيضا قال الشاعر عمرو بن الخثارم البجلي يندب قومه حين تفرقوا بين قبائل العرب :

لقـد فرّقتـم في كـلّ قـوم
كتفريق الإلـه بنـي معـدّ
وكنتـم حـول مروان* حـلولا
أكـارس أهـل مأثـرة ومـجـد
فـفرّق بينـكم يـومٌ عـبوّس
من الأيـام نـحسٌ غير سعـدِ

*مروان : حصن للشليل جد جرير بن عبد اللّه البجلي وفي أقوال آخرى ذكر أنه جبل يقع في بجيلة وكإضافة أقول أنه ربما كان الجبل المسمى حاليا المروى وهو جبل فريدا لم أشاهد له مثيل إذ يتكون من المرو الأبيض ويقع في بداية وادي مهور بعد (القشيدة) قدوما من أراضي الشطّفة وهي قرية من قرى أبا النعيم .

المراجع /

-كتاب جمهرة أنساب العرب لأبن حزم
-كتاب معجم ماأستعجم من أسماء البلاد - والمواضع لأبي عبيد البكري
-كتاب أنساب الأشراف للبلاذري
-كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير
-كتاب العقد الفريد لأبن عبدربه الأندلسي
-كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي
-كتاب شرح ديوان الحماسة للمرزوقي
-كتاب شرح ديوان الحماسة للتبريزي
-كتاب شرح حماسة أبي تمام لأبوالقاسم الفارسي
-كتاب معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة
-كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
-كتاب تاريخ الطبري .

غَـــدّر الصعاليك

التعريف – أقسام الصعاليك

من غرائب قصص الصعاليك



الصعاليك ومفردها صعلوك لقب يُطلق على جماعة من شذاذ العرب في الجاهلية ففي ذلك كانت بداياتهم فعلى أراضي الجزيرة العربية عاشوا وأطلقوا حركتهم عليها إذ كانوا ينتمون لقبائل عربية مختلفة ولكنهم خرجوا عن سلطة القبيلة ومايتبعها من واجبات، فغالبيتهم طردوا أو نبذوا منها لأمور تتعلق بالفعل أو لون البشرة

المثير في الأمر أن الغالبية العظمى من أفراد هذه الجماعات يعدّون من الشعراء المبدعين بل وتعدّ قصائدهم من روائع عيون الشعر العربي .

قسّم المؤرخون أقسام الصعاليك إلى ثلاثة فئات :

الفئة الأولى :

فئة الخلعاء الشّذاذ وهي فئة خلعتهم قبائلهم بسبب سوء أعمالهم التي لاتتوافق مع أعراف وقيّم القبائل التي ينتمون إليها ومثالها : حاجز الأزدي، قيس الحدادية والبراض بن قيس الكناني.

الفئة الثانية :

فئة أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباءهم وقومهم ولم يلحقوهم بأنسابهم، مثل: السليك بن السلكة ، وتأبط شرا ، والشنفرى .

الفئة الثالثة :

فئة جعلت من الصعلكة أحترافا وحولت أفعالها إلى نوع من الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية والنبيلة التي كانوا يقومون بها ومن أمثلة هذه الفئة التي تعد الأقل : عروة بن الورد الذي لقب لنبّل أعماله (أمير الصعاليك) وأيضا مالك بن الرّيب (بعد توبته) ولاننسى الصعلوك العاشق توبة بن الحميّر.

وبأستعراض سريع للفئتين الأولى والثانية سنستشف منها حجم الأذى النفسي الذي طال هؤلاء الصعاليك وأدى لتوحشهم في التصرفات والطباع وأدى لكرههم ونفورهم من العنصر البشري فقد كانوا يعيشون في عزلة المناطق النائية مابين الجبال الشاهقة والبراري القافرة وتحت أديم السماء العاريّة وهذا مادعى شاعرا صعلوكا مثل الأحيمر السعدي لتصوير هذا التوحش من خلال قصيدة طويلة نذكر منها الأبيات التالية :

عَوى الذِئبُ

فـأستـأنـسـت بِـالـذئـب إذا عَـوى
وَصَـوّت إنـسـانٌ فـكـدت أطـيـرُ
يَـرى اللَهُ إنّي لِلأنـيـسُ لَـكــارهُ
ويـبـغـضـهـم لي مُـقـلـة وَضَـمـيـرُ
فلِلّيلِ إن واراني الـلـيـلّ حكـمـة
وَلِـلـشـمـس إن غـابـت عَلَيَّ نُـذورُ
وَإنّي لَأسـتـحـيـي مِـن اللَهِ أن أرى
أجَـرّرُ حَـبـلا لَيسَ فـيـه بَـعـيـرُ
وَأن أسألَ الخـبـلُ اللَئـيـمُ بَعيرَهُ
وَبَعـرانُ رَبّي في الـبـلادِ كَثيـرُ

وتطرق لحالة التوحش هذه أحد أعجب الصعاليك وأكثرهم شهرة صعلوكا يسمى ثابت بن جابر الفهمي ويلقب (تأبط شرا) وهو المسمى الغالب والذي يصف ويعكس أفعّاله الشريرة والغير سويّه من حيث كراهيته

وعدوانيته تجاه المجتمعات البشرية وكفره بمبادئهم وأخلاقهم .
فمما يذكر عنه أنه كان من أشدّ فتاك العرب المشهورين وتميز بجانب المكر والدهاء والغدر بصفات تحدثت عنها كتب التاريخ والأدب وصنفته فيها بما يشبه الأساطير إذ قيل أنه أعدى ذي رجلين وذي ساقين (كناية عن شدة عدوه) وذي عينين (يقصد بها حدة بصره) .
وكان إذا جاع لم تقم له قائمة يعدو بسرعة تفوق سرعة الرياح للدرجة التي وصفت أنه يغير على أسراب الظباء الشاردة ويختار أطيبها ويدركه عدوا حتى يصطاده .
كانت تصرفاته دوما ماتشابه تصرفات وحياة الضباع الكاسرة التي تتخذ من الليل ستارا للإنقضاض والقضاء على فرائسها ولو غدرا فتجده متجردا ليس عليه إلا بقدر مايستر العورة وبجانب أمتلاكه بصرا حادا كالصقر فهو

يمتلك قوة قلب وعضل لاتعرف للرحمة مكان، فكان يقتل من يصادفه ويسلبه أهله وماله .

وينتمي تأبط شرا لقبيلة فهم التي تبرأت منه ومن أفاعيله بل وخلعته نابذة إياه وصحبه وفهم هي إحدى قبائل دوس العظيمة والعزيزة ولعل جيرتها وملاصقتها لأراضي بجيلة هي ماجعلت الكتب تنقل عنه العديد من القصص والقصائد التي أشتبك فيها مع رجالهم .

كان هذا الصعلوك يهيّم مشردا ومنبوذا بين أرجاء الوسيعة فتجده حينا يعدو في البراري كفهدا منطلق خلف فريسته وحينا آخر تجده يقفز كوشق جبلي شقي متنقلا مابين سفوح تهامة صعودا إلى الحجاز ونزولا وقد وصفت إحدى قصائده حاله وهو يتنقل مرتحلا كعادته منفردا مابين سفوح الجبال العالية .

وفي أحدى الليالي الحالكة السواد كان يقطع أحد سفوح تهامة في مكان يسمى (رحى بطان) وبرغم شدة ظلام الليل إلا أنه شاهد خلاله شبح خيال متجها إليه بسرعة مما دعاه لأمتشاق سيفه وصرخ بالشبح القادم عليه بأن يخلي له الطريق وأن يبتعد عنه فكلاهما عابري سبيل وقاصدي سفر مرهقين ولكن الشبح لم يستجب وإنما هاجمه بشراسة فأستبقه بضربة سيفٍ نافذة .

ولم تمته ضربته على الفور وإنما أخذ يضغط بسيفه على هذا الشبح الذي لايعرف ماهيته حتى تأكد من موته قريب الصباح ومع بزوغ النور وحينها وصف غريمه بصفات مخيفة وغير مألوفه فشبه رأسه برأس القط، الذي يملك لسان مشقوق كالأفعى وشبه جلدة رأسه كجلدة الكلب الذان يحملان ساقان ناقصة ومتباينة الطول ثم أنتقل للوصف بأن هذا

المخلوق يتستر بما يشبه الشّنة وإليكم ماذكره من أبيات قال فيها :

ألا مَن مُبلغ فِتيانِ فهم
بما لاقيتُ عِندَ رَحى بِطانِ
بِأنّي قد لَقيتُ الغولُ تهوي
بِسَهبٍ كالصَحيفةِ صَحصَحانِ
فقلتُ لَها كِلانا نِضوّ أينِ
أخو سَفرٍ فخلّي لي مَكاني
فشدّت شَدّةً نَحوي فأهوى
لَها كَفي بِمصقول يَماني
فأضرِبُها بِلا دَهَش فخرّت
صَريعاً لِليَدَين وَلِلجِرّان
فقالت عُد فقُلت لَها رُوَيدا

مَكـــانـك إنّني ثَـبـتُ الـجّـنَـان

فَـلـم أنـفــك مُـتـكـئً عـلـيـهـا

لِأنـظـرُ مُصبِحا ماقــد دهـانـي

إذا عَـيـنــان في رَأسٍ قـبـيـــح

كَـرأس الـهـرّ مَشـقـوق الـلـسانِ

وَساقـا مُخـدجٍ وَشَـواة كَـلـب

وَثــوب مِن عَـبـاءٍ أو شّــنـــانٍ *

*شنان : مفردها شّنة وهي قربة صغيرة قديمة بالية .

قصيدة تأبط شرا هذه كشفت لي عن سرّ لطالما تسألت عنه ببرأة في صغري حين سماعي لحكايات وروايات الجدات القديمة ومن خلال وصفهم للغول أو (السلعلعيّة) فكثيرا منها تذكر أن البطلة أو البطل يقتل الغول بضربة واحدة بينما الضربة الثانية تحييّه ففي أحدى الحكايات وحين طلبت السلعلية من غريمها أن يزيدها بضربة ثانية نجده يرفض بقوله : (مانيب زايد ولا نيب زوّاد ولا علموني أهلي الزوايدِ) .

والحقيقة لهذه الأسطورة كشفت تفاصيلها لي كلمات تأبط شرا حين قال :

فقالت عُد فقُلت لَها رُوَيدا
مَكانك إنّني ثَبتُ الجَّنَان
فلم أنفك مُتكئَ عليها
لِأنظرُ مُصبحا ماقد دهاني

وتتجلى حقيقة الأسطورة في أن بطل القصة كما هو حال تأبط شرا متى ماسحب سيفه لأجل إسداء الضربة الثانية فبأمكان الغول مباغتته والنهوض والقضاء عليه .

أختلف في سبب تسميته بمسمى تأبط شرا مابين المؤرخين فمنهم من قال أنه القى على والدته ثعابين في صغرة وسألوها عنه فقالت تأبط شرا ومضى .

وبعضهم نسبها لقصة رواها ثابت نفسه بأنه كان في إحدى جولاته مابين سفوح تهامة الشاهقة إذ رأى من بعيد كبشًا ، فما كان منه ، إلا أن حمله ، حتى يعود به إلى مكان يجتمع فيه رفاقه الصعاليك ليحتفل معهم به وكان طيلة الطريق ، يحمل الكبش تحت إبطه ، إلا أن ذلك الكبش أخذ يتبول عليه طيلة الطريق .

فلما أقترب من الحي ، شعر ثابت بالإعياء ، وشعر بأن الكبش قد بدأ يتزايد وزنه وثقله وشعر بالأعياء فما كان منه إلى رميه وإلقائه على الأرض فإذا به يتصّور بهيئة غول ، فلما رأى رفاقه ذلك ،سألوه : ماذا تأبطت يا أبن جابر؟ فقال لهم ثابت : تأبطت غولًا ،
فقالوا له : بل أنك يا ثابت قد تأبطت شرًا
ومنذ تلك اللحظة أطلق عليه لقب تأبط شرًا ، وعرف بهذه التسمية بين قومه ،والناس جميعًا ومما صوره الشاعر أبن الرمة في وصف معيشة الصعلكة وخيالاتها :

وكم عرّست بعد السرى من معرّس
بها من كلام الجن أصواتٌ سامر

إلى أن يصل إلى قوله :

بلادٌ يبيت البُوم يدعو بناته
بها ومن الأصداء والجن سامر

مصدر التعجب هنا وصفه للبوم بأنها بناته وهذا إن دل على شيء فإنما يعبر عن مقدار الوحشة الشديدة التي تصل بالصعلوك للخوف والإضطراب من أي صوت وتجعله يتخيل كل مايقابله .

ومع إيماننا القاطع بوجود الجن كما ذكرهم القرآن الكريم إلا أن هذه القصص ربما دخلت في باب الخرافات والأساطير كما وصف ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان وأفرد لذلك بابا أسماه (باب من أدّعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان) وتطرق لقصص تأبط شرا وللحق فإن من رأى تأبط شرا بمئزره الشبه عارٍ يعدو في القفار ويقفز مابين السفوح والجبال كما تفعل القردة النشّطة فلن نلومه لو ظن أنه الغول بعينه .

ومادمنا نخوض في قصص الجان والعفاريت ومايدور حولها من أساطير ترافقت منذ الأزل مع التراث العربي القديم فلا يمكننا التجاوز دون ذكر قصة صعلوكا يقال أن الجن أوفت بعهده وهو ماحدّث مع الشاعر العاشق توبة أبن الحميّر والذي كان من فئة الصعاليك العشاق فقد أولع بأبنة عمه ليلى الأخيّلية وطار فيها هياما للدرجة التي جعلته يكتب عنها الأشعّار تلّو الأشعار والتي تناقلتها السنة العرب وهذا ماجعل والدها يرفض أقترانه بها حيث أن العرب وقتها لا يزوجون بناتهم ممّن شهّر بهن بل أن والدها أباحّ دمه متى أقترب من الحيّ فهام توبة على وجهه كالمجنون يبكي ليلاه ويتّدب حظه العاثر ..!!

أستحال الكون على العاشقين كعباءة سوداء أتخذت من الليل المعتم ستارا تحتجب خلفه وتلوّع فؤاد توبة حرقة وأنشد يقول :

أليس يضّير العين أنْ تكثرَ البُكا
ويمنع منها نومها وسُرورها
أرى اليوم يأتي دونَ ليلى كأنما
أتى دونَ ليلى حِجة وشهورّها
لكلّ لقاء نلتقيه بشاشة
وإنْ كانَ حولا كلّ يوم أزورُها
خلّيلي روحا راشدين فقد أتتَ
ضَرّية من دون الحبيب فِنيرُها
خلّيلي مامن ساعة تقفانها
من الليل إلاّ مثل أخرى نُسيرُها
وقد تذهبُ الحاجاتُ يطلُبها الفتى
شَعاعا وتخشى النفسُ ما لا يَضيرُها

وقال أيضا :

وأغـبـط مـن ليـلـى بـمـا لا أنـالـه
ألا كل ما قـرت بـه العيـن صالـح
ولو أن ليْلى في السماءِ لأصعدت
بطرفي إلى ليلى العيـون اللوامح

أخذت الأيام تمضي عابرة على توبة وكأنها ستّون تملؤها القتامة وسوء الطالع فمما يذكر أن الأصمعي سُئل يوما عن رأيه عما تضمنته أبيات ذكرها توبة بن الحمير في تلك الفترة وفيها قال :

عـلـي دمـاء الـبـّـدن إن كـان زوجـهـا
يـرى لـي ذنـبـا غـيـر أنـي أزورهــا
وأني إذا ما زرتـهـا قـلـت يـا أسـلـمـى
فهل كان من قولي أسلمي ما يضيرها

ولم يتردد الأصمعي بالقول : شكوى مظلومٍ وفعلً ظالم .



وهذا ماجعل شقيقه عبيدالله بجانب مولاه قابض المبادرة بأخراجه من وضعه المنزوي وخرجوا به بقصد العودة لحياة الصعلكة التي تحمل تفاصيلها كثيرا من إثارة وترحال فأكثروا من غاراتهم على مايليهم من قبائل وكان من جملة القبائل التي غزوها قبائل همدان وبني الحارث بن كعب ولما في طبيعة حياة الصعاليك من مصاعب ومخاطر فلقد خرج قومٌ من بنو عوف أبن عقيل طلبا له فقصدوا مكانه وترصدوا له وهو قادم من أحدى مغامراته وبرفقته عبيدالله بن توبة ومولاه قابض فأتوه طروقا بمعنى ليلا وشعر بهم صاحباه فهربا وتركاه يلاقي نحبه وصُرع على أيدي القوم وهذا مانقله كتاب (التعازي) للمبرد

وصل الخبر إلى ليلى التي كادت أن تجّن الما وحزنا فأخذت تبكيه وتنشىء من أجله قصائد الرثاء ولعل مازاد في ذيوع صيت توبة بن الحمير وشهرته أن حبيبته ليلى الأخيلية كانت

شاعرة من الطراز الأول حتى قيل أنه لم يباري الخنساء شاعرة سواها في تاريخ شاعرات العرب ولطالما رثته ليلى بأشعار وجدانية تشتعل الما وحرقةً فسجل التاريخ لها أروع رثاء قالته مُحبة في حبيب فرق بينه وبينها الدهر وكان منه قولها :

وأقسمت أرثى بعدَ توبةَ هالكا
وأحفِلُ من دارت عليه الدوائر
لعَمرك ما بالموت عارٌ على الفتى
إذا لم تصبه في الحياة المعابرُ
وما أحدٌ حيا وإن كان سالما
بأخلد ممن غيّبته المقابرُ
ومن كان مِما يُحدثُ الدهر جازعا
فلا بّدّ يوما أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيش من الموت مذهبٌ
وليس على الأيام والدهر غابرُ
ولا الحيُ مما يُحدث الدهر معتبٌ

ولا الميت إن لم يصبر الحيُ ناشرُ

وكــلّ شبابٍ أو جديد إلـى بلـى

وكـلّ امرئٍ يومـا إلـى اللـه صائـرُ

وكـــلّ قريـنـي ألـفـــةِ لتـفـرق

شـتـاتـا وإن ضـنّـا وطـال التعاشُرُ

فـلا ُيبعـدن اللّه يـا تـوبَ هـالـكـا

أخا الحرب إن ضاقت عليه المصادرُ

فأقسمتُ لا أنفكُ أبكيك مـا دعـت

عـلـى فـتّـن ورقـــاءَ أو طـــار طائـرُ

قـتـيل بنـي عـوف فيـا لهفتـى لـه

فـمــا كـنـتُ إيـاهـم عـليـه أحــاذر

وأخذت في رثائه بقصائد آخرى تقطع نياط القلوب ومن أجمل مارثته به من مراثي قصيدة لطالما أعجب بها الأصمعي وكان يردد قولها :

أياعـين بـكـي تـوبـة أبن حـمـيـر

بـسح كفـيـض الجـدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة
بماءِ شؤون العبّرة المتحدر
سَمعّن بَهيجا أرهقت فذكّرْنَه
ولا يَبعّث الأحزان مِثلُ التذكر
كأن فتى الفتيان توبةَ لم يسّر
بنجدِ ولم يَطلع مع المُتغّورِ
ولم يَرِد الماءِ السّدامِ إذا بَدا
سنا الصبح في بادي الحواشي منورِ
ولم يَغّلب الخصّم الضِّجاجَ ويَمّلأَ
الجِفان سديفا يوم نكباء صرصرِ
ولم يَعُل بالجُرّد الجِيادِ يَقّودُها
بسرة بين الأشمسات فأيصر
وصَحراءِ مَوْماةٍ يَحارُ بها القطا
قطعت على هوّل الجنّان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها
سُراهم وسَيّر الراكبُ المُتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها
مجاج بقيات المزاد المقير

ولما أهابوا بالنهاب حويتها

بخاضي البَضيع كَرّه غيرُ أعسَر

ممّر ككر الأندري مثابر

إذا ماوَنَين مُهلّب الشّد مُحْضِر

فألوت بأعناق طوار وراعها

صلاصل بيض سابغ وسنور

ألم تر أن العبد يقتل ربه

فيظهر جدّ العبد من غير مظهر

قتلتُمْ فتى لا يُسْقِطُ الرّوع رُمْحَهُ

إذا الخيل جالَت في قنّا متكسّرِ

فيا توب للهيجا وياتوب للندى

ويا توب للمستنبح المتنور

ألا رب مكروب أجبت ونائل

بذلت ومعروف لديك ومنكر

مرت الأيام كسرّاب خادع يحسبه الظمأن ماء ذهب من خلاله شباب ليلى وذبلت نضارتها برغم محاولات الأنعتاق من ذكرى توبة التي برهنتها بزواجها مرتين ولكن شعرت مع تقدم السّن إلا أنه لازال في قلبها بقايا من جذوة غرام لم تنطفىء أحياها دعوات الخلفاء والأمراء لها لتحكي لهم عن أخبارها ونوادرها مع توبة والتي تناولت حكاياتها الركبان .

دخلت ليلى الأخيلية على عبدالملك بن مروان، وكانت قد أسنّت فقال لها محاولا أستثارتها : ما رأى توبة فيك حتى أحبك..؟!

قالت:رأى فيّ ما رأى الناس فيك حين ولوك أمرهم .

فضحك الخليفة حتى أستلقى على قفاه أعجابا بنباهتها وسرعة بديهتها .

ومما رواه الأصمعي قوله بأن أمرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها فجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للرجل أتصارعني قال ذلك إليك فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة وصرعه وأستوى جالس على صدره فضرط الفرزدق فوثب عنه الرجل خجلا وقال له الرجل : يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك واللّه ما أردت بك ما جرى ..!!

فقال : ويحك أن بي ما صرعتني ولكن كأني بابن الأتان جرير وقد بلغه خبري هذا

فقال يهجوني :

جلست إلى ليلى لتحظى بقُربها
فخانك دُبّرا لا يزال يَخونُ
فلو كنتُ ذا حزّم شدّدت وكاءهَا
كما شدّ خَرتا للدلاص قيونُ

وأضاف الأصمعي قائلا فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه نفس البيتين ..!!

وسألها الحجاج ذات مرة عن أمرها مع توبة قائلا: " إن شبابك قد ذهب، وأضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك إلا صدقتني، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط..؟!
فقالت: أما وقد حلفتني فلا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلةً وقد خلونا كلمةً ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبةً بعدها حتى فرق بيننا الموت .

قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك ..؟
فقالت: وجه صاحبا له إلى حيّنا فقال إذا أتيت الحي من بني عبادة بن عقيل فأعلِ شرفا ثم أهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة
من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى وأدركت مغزاه ورديت عليه قائله:

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه
عزيز علينا حاجة لا ينالها

خرجت ليلى من عند الحجّاج بصحبة قومها وهي تتهادى داخل هودج أعتلى ظهر بعيرها الذي أخذ في مخر عباب كثبان فيافي وقفار كانت غاطة في سبات لولم يحرك سكون رمالها الناعمة سوى ريح خفيفة كانت تهب بين حين وآخر فتبعثرها تحت أديم سماء صافية كان فيها القمر خافتا وبدأ وكأن النجوم المبعثرة حوله تتودد إليه في صمت كان منظرها وهي تلّمع وتضيء هنا وهناك يهيج ذاكرة ليلى لتسترجع ليالِ مضت لم يبق منها سوى بعض ذكراها وكان يجاورها بعلها الذي كان يمتطي راحلته وبرغم كثّرة أحاديثه فإنها كانت تذهب أدراج الريّاح في وقت توافقت فيه حركة عقلها مع قلبها للإنشغال وعلى مسافة غير بعيدة عنها كان قومها يسيرون بجوارهما .

كانت ساهمة في صمت الجّم لسانها وجعله عاجزا عن الكلام وكل ماكانت تستطيع فعله هو حثّ ناقتها على المسيّر أكثر بأتجاه الديار فقد هاجت الذكرى بشكل لم يسبق مع تكاثر الأسئلة ماحولها طلبا لسماع المزيد من حكاياتها مع توبة فكان كل سؤال يوجه إليها عنه يقربّها منه ومن مصيّره أكثر وحينما أقتربت من الديار أتسعت محاجر عيناها وهي تقصد النظر تجاه كومة صغيرة لاحت لها في الأفق القاتم البعيد وأخذت تفاصيل هذه الكومة في الكبّر وعيناها لم تفارقا النظر عنها وأخذت عبراتها في التصاعد مع أقترابها .

وهو الأمر الذي لم يغفل عنه بعلها الذي التفت إليها بحدّة تغلبها الغيّرة قائلا : اليس هذا قبر الكاذب الذي يقول :

ولـو أن ليـلـى الأخيـليـة سلّـمّت
علّي ودونـي جـنـدّلٌ وصـفـائـحُ
لسلمتُ تـسـليـم البشـاشـة أو زقّـا
إليها صدى من جانب القبر صائحُ

أقسّمت عليك أن تلقي عليه السلام حتى تدركي مدى كذبه .

فقالت بكلمات قطّعّهَا التأثر: دعه في قبره الم يكفه ماقاساه في دنياه .

فأصر عليها مذكرا إياها بقسمه وأستسلمت بألم وهي تنظر تجاه قومها الذين أجتمعوا لمشاهدة الموقف فقالت لهم : أشهد اللّه أنني لم أعرف له كِذبة قط قبل يومنا هذا .

وأقتربت من القبرِ أكثر قائلة : السلام عليك ياتوبة ..
ولم تكد تنتهي من قولها حتى خرج من جانب قبره طائرا يشبه البّومه وأخذ يصرخ بصوت عالٍ وبشكل أرعب ناقتها وجعلها تنفّر ثم لفت عنقها وأطارت بليلى من هودجها والقت بها على رأسها فماتت من حينها وأغتسلها قومها ثم دفنوها في قبرا يجاوره ولهذا ذكر البعض أن طائرا كهذا لم يكن إلا من الجّن التي أوفت بوعد توبة لمحبوبته .

الصعلوك النبيل عروة بن الورد ضرب أروع الأمثلة في الإيثّار والكرم والمشاركة الوجدانية بما فيها من إذابه للفوارق الأجتماعية في مجتمع ما قبل الإسلام وقد تأكد لي أن الأسطورة الخيالية الإنجليزية (روبين هود) وكذلك النموذج الفرنسي الذي تمثله شخصية (أرسين لوبين) وأبتكره قبل قرنين المؤلف الفرنسي موريس لوبلان أو مايسمونه باللص الشريف لهذا فقد أستلهمت شخصيته من قبل المستشرقين الغربيين والذين نهلوا من معين تاريخنا العربي والإسلامي وأثيروا أعجابا بسيرة الصعلوك الجاهلي عروة بن الورد ولم تكن هي الأستساخ الوحيد فقد شكّلت لهم أيضا رواية أبن الطفيل المسماة حيّ بن يقظان أفاقا متعددة فنجد أحداثها تتحدث عن رضيع وضعته أمه في تابوت والقته في عرض البحر.

وأنتقل منه لجزيرة الواق واق وهناك وجدته ظبية تولت تربيته حتى كبّر وحين نتأملها نجد قواسم مشتركة وواضحة بينها وبين شخصية طرزان الذي أخذته القرود صغيرا وربته حتى كبّر وهي شخصية تم أبتكارها في بدايات القرن الماضي وقصتها تتحدث عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش في بيئة منعزلة وحده كما في رواية (روبنسون كروزو) للكاتب دانييل ديفو وتم أبتكارها قبل قرنين مضت وأيضا ماوكلي فتى الأدغال وغيرها من الروايات التي تم إستلهامها من تاريخنا .

وعروة بن الورد الذي أطلق عليه من سبق من مؤرخين وأدباء مسمى (أمير الصعاليك) لما كان من فعله وسلبه الأغنياء المقتّرين لإطعام الفقراء المعوزين بينما يطويه المبيت هو وزوجته جوعى وبهذا فهو يطبق نوع من العدالة الاجتماعية في مجتمع لايوجد به زكاة أو تكافل شرعّها الدين الحنيف فيما بعد .

وبرغم هبّات عرّوة بن الورد إلى الفقراء إلا أنه كان لايبعد كثيرا عنهم من حيث العوز ونقص المادة وفي هذا وجه قصيدة إلى زوجته عدّت من روائع الشعر العربي قال فيها :

ذَريـنـي لـلـغـنـى أسـعـى فـإني
رأيت الـنـاس شـرُهُـم الـفـقـيرُ
فسّر في بلادِ اللّه والتمس الغنى
تـعشّ ذا يـسـارٍ أو تـمـوت فتُعْـذرا
ومَن يـك مـثـلـي ذا عـيـالٍ ومُقتِرًا
من الـمـال يطرحَ نفسه كلَّ مَطَرح

ولعل هذا الفقر الذي أستبّد بحياة الصعاليك حمل لهم في ركابه الجوع، نتيجة طبيعية له، ولعل الجوع أقسى ما يحمله الفقر إلى جسد الفقير، وقد سُئل أعرابي: ما أشد الأشياء؟ فقال: كبد جائعة تؤدي إلى أمعاء ضيقة ..!!

ومما روي عن الخليفة عبد الملك بن مروان قوله : ما يسرّني أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن ورد لقوله :

إنــي أمــرؤٌ عــافـي إنــائـي شـركِــة
وأنــت أمــرؤٌ عــافي إنــائـك واحــدِ
أتـهـزؤ مـنـي أن سَـمّـنـت وقـد تـرى
بجسمي شحوبَ الحقِّ والحقُّ جاهدُ
أُقسِّـم جـسـمي في جـسـوم كـثـيـرة
وأحـسـوّ قِـراح الـمـاءِ والـمـاءُ بـاردُ



ولعلنا هاهنا أيضا نتذكر مالك بن الرِّيَب الذي كان شاعرا لبيبا وصعلوكا شجاع فاتكا فكان يقال عنه أنه لا ينام الليل إلا متوشحا سيفه ووصف نفسه متطرقا لشمائله قائلا :

وقد كنتُ عطافا إذا الخيل أدبَرتَ
سريعا لدى الهيجاء إلى من دعانيا
وقد كنت محمودا لدى الزادِ والقرى
وعن شتمي أبن العم والجار وانيا
وقد كنتُ صبًّارا على القرن في الوغى
ثقيلاً على الأعداء عضبا لسانيا

ولكن ماكان يدعو للأسف أن مالك بن الرّيّب أستغل شجاعته في قطع الطريق على المسلمين الآمنين العابرين للطرق .

وكان يلازمه في مغامراته وغزواته ثلاثة من أصدقائه الصعاليك كان من بينهم صعلوك يقال له شظاظاً الضبّي الذي قالت عنه العرب ألصّ من شظاظ .

وبأستثناء توبة الذي عاش في نفس عصره فجميع الصعاليك السابق ذكرهم والذين كانت حياتهم ومغامراتهم في العصر الجاهلي القديم عاش مالك بن الريب في القرن الهجري الأول من بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم فلما ولى معاوية بن أبي سفيان أرسل سعيد بن عثمان بن عفان لإخماد ثورة في بلاد خراسان عام 56 هـ ومن ثم تولي أمارتها وفي طريق سعيد إلى خراسان القى القبض على مالكاً وهو خارج من المدينة يعد العدّة في طريقه فأستصلحه وأستتابه ثم صحبه معه وأجرى عليه في كل شهر خمسمائة دينار على أن يهجر ماكان من سيرته من قطع الطريق .

فترك مالك أهله وراءه وذهب مصاحبا لسعيد بن عثمان للجهاد وكانت ولاية سعيد على خراسان عامين تخللتها معارك عدة خاضها مالك بن الريب معه وعاد بعدها ولكن في طريق عودتهم إلى المدينة مرض مالك مرضا شديدا وأشرف على الموت ويقال أنه لسعته أفعى وهو في القيلولة فسرى السم في عروقه وأحس بدنوّ الموت وهو في غربته بعيدا عن أهله ودياره وقال قصيدة يرثي فيها نفسه عدّت أبياتها من أجمل وأصدق ماقيل في رثاء النفس فسميت (بكائية مالك بن الريب) وهنا سنتطرق لبعض أبيات قصيدته البكائية الرائعة التي قال فيها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليل
بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركبُ عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا

مـزاو ولـكـن الـغـضـا لـيـس دانـيــا

ألــم ترني بـعـت الـضـلالـة بـالـهـدى

وأصبحت في جيـش أبن عفان غازيا

وأصبحت في أرض الأعـادي بـعـدمـا

أرانــي عــن أرض الأعـــادي قـاصـيـا

دعاني الهوى من أهل ودّي وصحبنتي

بــذي الـطـبـسـيـن فـألـتـفـت ورائـيـا

أجـبـت الـهـوى لـمـا دعـانـي بـزفـرة

تــقــنــعــت مــنــهــا أن ألام ردائــيــا

أقـول وقـد حـالـت قرى الكرّد بيننا

جزى اللّه عـمـرا خـيـر ما كـان جازيا

إنّ اللّه يـرجـعـنـي مـن الـغــزو لا أرى

وإن قـلّ مــالـي طـالـبـا مـا ورائـيــا

تـقـول أبنتي لما رأت طول رحـلـتـي

ســفـارك هــذا تــاركـي لا أبـا لـيـا

لعمري لئن غـالـت خـراســان هامتي

لـقـد كنت عـن بابي خراسان نائـيـا

فإن أنجُ من بابي خراسان لا أعد
إليها وإن منيتموني الأمانيا
فلله دري يوم أترك طائعا
بنيّ بأعلى الرقمتين وماليا
ودرُّ الظباء السانحات عشيّة
يخبّرن أني هالك من ورائيا
ودرّ كبيّري الذين كلاهما
عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الرجال الشاهدين تفتكي
بأمري ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي
ودرّ لجاجاتي ودرّ أنتهائيا
تذكرت من يبكي علي فلم أجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقر خنديدا يجّر عِنانه
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكنّ بأطراف (السّمَيْنَةِ) نسوّة
عزيز عليهنّ العشّية ما بيا

صريعٌ على أيدي الرجال بقفزة

يُسوّون لحدي حيث حُمَّ قضائيا

ولما تراءت عند مروٍ منيّتي

وحلّ بها جسمي وحانت وفاتيا

أقولُ لأصحابي أرفعوني فإنني

يقرّ بعيني أن سهيل بدا ليّا

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا

برابية إني مقيم لياليا

أقيما علي اليوم أو بعض ليلة

ولا تعُجلاني قد تبيّن شانِيا

وقوما إذا ما أستل روحي فهيئا

لي السّدر والأكفان ثم أبكيا ليّا

وخطّا بأطراف الأسنّة مضجعي

وردّا على عيني فضل ردائيا

ولا تحسُدوني بارك اللّه فيكما

من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

خُذاني فجُرّاني ببردي إليكما

فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

وقد كنت عطّافا إذا الخيل أدبَرتَ

سريعا لدى الهيجا إلى من دعانيا

وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى

وعن شتمي أبن العم والجار وانيا

وقد كنت صبارا على القرن في الوغى

ثقيلاً على الأعداء عضّبا لسانيا

فطورا تراني في ظلال ونعمة

وطورا تراني والعتّاق ركابيا

ويوما تراني في رحى مستديرة

تخرق أطراف الرماح ثيابيا

وقوما على بئر السمينة أسمعا

بها الغّر والبيض الحسان الروانيا

بأنكما خلفتماني بقفرّة

تهيل عليّ الريح فيها السوافيا

ولا تنسيا عهدي خليلاي إنني

تقطع أوصالي وتبلى عظاميا

ولن يعدم الوالون بثا يصيبهم

ولن يعدم الميراث مني المواليا

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني

وأين مكان البعد إلا مكانيا

غداة غدٍ يا لهف نفسي على غد

إذا أدلجوا عني وخلفت ثاويا

وأصبح مالي من طريف وتالد

لغيري وكان المال بالأمس ماليا

فيا ليت شعري هل تغيرت الرحى

رحى الحرب أو أضحت بفلج كما هيا

إذا الحي حَلوها جميعا وأنزلوا

بها بَقرا حُم العيون سواجيا

رَعَينَ وقد كاد الظلام يُجنها

يَسُفن الخزامى مَرة والأقاحيا

وهل أترُكُ العِيسَ العَواليَ بالضّحى

بِرُكبانها تعلوا المتان الفيافيا

إذا عُصب الركبان بين (عُنَيّزَةٍ)

و(بَوَلانَ) عاجوا المُبقياتِ النّواجِيا

فيا ليت شعري هل بكت أم مالك

كما كنت لو عالوا نُعيك باكيا

إذا مُت فأعـتـادي القبـور وسلمـي
على الرمس أسقيتي السحاب الغواديا
تري جَـدُث قـد جرت الريح فوقـه
غـبـارا كـلـون القسطلان هـابـيـا
رهـيـنـة أحـجـارا وتـرب تـضـمـنـت
قـرارتـهـا مني العـظـام البـواليـا
فـيـا راكـبـا إمـا عـرضـت فـبـلـغـن
بـنـي مـالـك والـريّـب ألا تـلاقـيـا
وبـلـغ أخـي عـمـران بـردي ومـئـزري
وبـلـغ عـجـوزي الـيـوم أن لا تـدانـيـا
وسـلـم عـلـى شـيـخـيّ مني كـلـيـهـمـا
وبـلـغ كـثـيـرا وأبـن عـمـي وخـالـيـا
وعـطـل قـلـوصي في الـركـاب فإنـهـا
سَـتـفـلـق أكـبـادا وتـبـكـي بـواكـيـا
بـعـيـد غـريـب الـدار ثـاوً بـقـفـرّة
يـد الـدهـر مـعـروفـا بأن لا تـدانـيـا
أقـلّـب طـرفـي حـول رحـلـي فـلا أرى
بـه مـن عـيـون الـمؤنـسـات مـراعـيـا

وبـالـرّمل مني نسـوة لـو شهدنني
بـكـيـن وفـدّين الطبيب الـمـداويـا
فـمـنـهـن أمّي وأبـنـتـاهـا وخـالـتـي
وبـاكـيــة أخـرى تـهـيّـج الـبـواكـيـا
ومـا كـان عـهـد الـرّمل مني وأهـلـه
ذميما ولا بـالـرّمل ودّعـتُ قـالـيـا

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

الإحسان لغة مستخلص من كلمة حسّن وهو معنى معاكس للإساءة ويتجلى الأحسان في صور متعددة منها حسن الأدب وحسن الخلق وحسن الجوار وأيضا حسن حفظ المعروف وعن هذا الأمر أحببت أدراج هذه القصة لتبيان غدر غالبية الصعاليك وعدم التزامهم بالعهود ولا الذمم بل لعل الخيانة إحدى مبادئهم الرئيسية فرزقهم بالأساس يعتمد على سلب قوت الآخرين وأرزاقهم بالإغارة عليهم وهذا ماستثبته الحادثة القادمة إضافة لما تطرقنا إليه في قصة ثمامة السلمي السابقة ولكن لعل مايثيرأستغرابي وأشمئزازي في الوقت نفسه كونهم يلاقون قديما وحديثا التعاطف والأعجاب من البعض بل والفخر بأفعالهم من البعض الآخر وسرد القصائد مدحا في مآثرهم وبطولاتهم .

فأي بطولة تكمن في الإغارة على أناس عزل ومسالمين لاحيلة لهم ولاحول وقتلهم ثم نهب أموالهم وتشتيت شملهم وسبي أطفالهم والإعتداء على محارمهم .

هكذا أفعال لاتتفق مع أبسط مبادئ ديننا القويم ولا حتى أبجديات أخلاقنا العربية ومبادئنا .. لقد أرشدنا الخالق العادل بمعاملة الناس بالحسنى وباللّيّن والمعروف ناهيا عن حرّمة سفك الدماء وفي هذا قال اللّه تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

وقال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(وقاتلوا في سبيل اللّه الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ۚ إن اللّه لا يحب المعتدين)

ويقول عز شأنه :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

وكذلك نتذكر في هذا المجال الحديث الكريم الذي رواه جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» .

نعود لقصة الصعلوك تأبط شرا لما لها من صلِة بصُلّبِ موضوعنا الرئيسي إذّ كان تأبط شرًّاً كان يكثر الغارات على قبيلة هذيل وبالأخص فرع منهم يقال له (لحيّان) كذلك أكثر من غزو قبائل مختلفة منها الأزد وثمالة وبجيلة وخثعم وفي ذلك يقول:

أرى قدميّ وقعهما حثيثٌ
كتحليل الظليم دعا رِئاله
أرى بهما عذابا كُلّ يومٍ
لخثعم أو بُجيلة أو ثِماله
وشرا كان صُب على هُذيل
إذا عَلقت حبالهُم حباله
ويوم الأزدِ منهم شرُ يوم
إذا بَعُدوا فقد صدّقت فاله

يقول الشاعر العربي القديم وكأنه يصف قصتنا القادمة :

ومن يفعل المعروف في غير أهله
يلاقي مثل ما لاقى مجير أم عامرِ*

كانت هذه الأبيات أول ماتبادر إلى ذهني وأنا أستلهم إحدى قصص مغامرات الصعلوك تأبط شرا من أنه خرج كعادته للغزو في أحدى الليالي وأدركه البرد والجوع فقصد أراضي بجيلة وأثناء تنقله مابين أطرافها متسترا بظلام الليل شاهد عن بعد نزلا داخله نارا مضيئة فعمد إلى سيفه ودفنه على مقربة من الدار ثم أنه أقبل على المكان فوجد رجل وزوجته يصطلون حول نار وحولهم كلبا مالبّث أن نبح بشده مستنكرا قدوم تأبط شرا إلا أن صاحبه نهرّه ونهض مرحبا بالقادم سائلا إياه : من أنت ..؟!!

*أم عامر: من أسماء الضبع لدى العرب القدامى

فرد عليه تأبط شرا: عابر سبيل بائس وفقير فقال له : حييت ياهذا .. أدن
وبالفعل دنا وأقبل ووجد أمامه رجل جلحّاب أي ضخم الجثة يصطلي بنارا مشتعلة فأخذ يشتكي له جوعه وحاجته فقال له الرجل هون عليك فأنت ضيفي وخذ إليك تلك القصعة وأشار إلى مكان لايبعد كثيرا عن أبله وحين كشفها تأبط شرا وجد فيها تمر ولبن وأخذ يأكلها بشراهة الجائع حتى شبع ثم أنه تصنع التعب والأرهاق بمكر فقام مضيفه ورحب به ثم مد له فراش سرعان ماأنكفأ عليه متظاهرا بالنوم وعازما في نفسه أن لاينام حتى ينام مضيفه لأمرا عزم عليه في نفسه .

ومالبث صاحب الدار أن تمدد وتململ على فراشه وهو يتقلب واضعا رجلا على رجل وتأبط شرا يرقبه وأخذ يغني قائلا :

خَيرُ اللَّيـالي إن سألت بليـلة
لـيـل بخيْـمـة بين بيشَ وعَثّرِ
لِضَجـيـع آنـسـةٍ كأنَّ حَدِيثَها
شَهـد يُشابُ بمزجةٍ من عَنْبر
وضجيـع لاهيـة ألاعِب مِثلَها
بيضاءَ واضحةٍ كَظِيظ المِئْزَر
ولأنت مثـلهمـا وخَيّـر منـهما
بعد الرُّقاد وقبل أن لم تَسْحِرِ

وما أن أنتهى من أبياته حتى خلد إلى النوم وكانت هذه الفرصة التي ينتظرها تأبط شرا على أحرّ من الجمر وبعد أن تيقن من سكون مضيفه وأستسلامه لمنطق النوم حتى تسلل بهدوء إلى خارج الدار ومضى إلى المكان الذي

دفن فيه سيفه وأخترجه ثم قصد صاحب المنزل الذي كان غاطا في فراشه نائما وغرس سيفه مخترقا كبده ثم عاجلة بآخرى أخرجها من صلبّه ثم مالبث أن أوقظ زوجة المغدور التي نهضت يتملكها الرعب والبكاء وأخذت تصرخ وتولول وهو يسكتها قائلا : أنا خيرا لك منه .

لم تتوقف المرأة عن البكاء والعويّل مما دعاه إلى أن يوثق رباطها ثم أخذ في تفقد مكاسبه من صاحب الدار وكان منها مجموعة من الأبل أركب عليها متاع المرأة وغنم ضمن ماغنم عبدا وأمة كانت للبجلي وجعلهم يقودون الأبل والأنعام قسرا .

ولم يتسّن له أن يتنفس الصعداء آلا حين وصل إلى مأمنه في منطقة يقال لها صعدة بني عوف بن فهر وهناك قام بهتك ستر زوجة البجلي المغلوبة على أمرها وأضطجع رافعا عقيرته بالغناء وهو يقول بمجوّن :

بحَليلة البجلّي بتّ من ليلِها
بين الإزار وكَشْحِها ثم الصَق
بأنِيسة طُويت على مَطْويّها
طيِّ الحمالة أو كطيّ المِنْطق
فإذا تقوم فصَعدة في رَمْلة
لَبَدَت بريّق دِيمة لم تُغدِق
وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها
كالأيم أصْعَد في كَثِيبٍ يرْتقي
كَذَب الكواهِنُ والسّواحِرُ والهُنا
أن لا وفاء لعاجز لا يَتّقِي

*الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بتصرف)

ومادام الشيء بالشيء يذكر ومع تطرقنا لتأبط شرا فسنذكر بعض قصصه وحوادثه مع قبيلة بجيلة والتي كما أسلفت كان لملاصقة أراضي قومه لها الدور الكبير في أحتكاكاته المتكررة معهم والتي تعج بها كتب التاريخ والأدب ولعل نهايته ومصرعه كانت على أيديهم كما تشير بعض المصادر بينما تشير بعضها أنه قتل بأراضي هذيل إلا أن الأمر الأكيد أنه عانى الأمرين منهم فبالأضافه إلى مقتل بعض رفاقه فقد نجى من الموت على أيديهم عدة مرات وذكر ذلك في قصص وقصائد متعددة له .

مما ذكر أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط

شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة :ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا قال مرة :إنك إن جزعت منه هلكنا فقال تأبط شرا أما أنا فإني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح فمكثا بذلك يومين وليلتين ثم تبعا الصوت .

فقال تأبط شرا النعم والناس أما واللّه لئن عرفنا لنقتلن ولئن أغرنا لندركن فأت الحي من طرف وأنا من الآخر ثم كن ضيفا ثلاثا فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع ثم أغر على ما قبلك

إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة وموعدك الطريق ..!!

ففعلاحتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه فاستاقا النعم والنغم وطردا يوما وليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شعبا فنحرا قلوصا فبينا هما يشويان إذ سمعا حسا على باب الشعب فقال تأبط شرا الطلب يا مرة إن ثبت فلم يدخل فقال مرة هلكنا ووضع تأبط شرا يده على عضد مرة فإذا هي ترعد فهم مجيزون وإن دخل فهو الطلب فلم يلبث أن سمع الحسن يدخل فقال ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هذيل خذ بظهري فإن نجوت نجوت وإن قتلت وقيتك فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر تأبط وحمل تأبط فقتل رجلا وروموه بسهم فأعلقوه فيه وأفلتا جميعا بأنفسهما فلما أمنا وكان من آخر الليل قال مرة ما رأيت كاليوم غنيمة أخذت على حين

أشرفنا على أهلنا وعض مرة عضده وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة وأتى تأبط امرأته فلما رأت جراحاته ولولت لمصابه وغزارة دمه فقال تأبط شرا في ذلك :

وبالشِّعب إذ سدّت بجِيلة فجّة
ومِن خَلفه هَضبٌ صغار وجامل
شددتُ لنفس المرءِ مُرّةَ حزمَه
وقد نُصِبت دون النّجاء الحبائل
وقلت له كنّ خلف ظهري فإنني
سأفديك وأنظر بعدُ ما أنتَ فاعِل
فعاذ بحدّ السيف صاحبُ أمرهم
وَخَلّوا عن الشيء الذي لم يحاولوا
وأخطأهم قتلِي ورفّعتُ صاحبي
على الليل لم تؤخذ عليه المخاتلُ

وأخطأ غُنّم الحَيّ مُرَّة بعدما

حوته إليه كفهُ والأنامل

يعضُ على أطرافه كيف زَوْلُه

ودون الملا سهلٌ من الأرض ماثل

فقلت له هذي بتلك وقد يَرَى

لها ثمَنا مِن نفسهِ ما يُزاول

تَوَلولُ سُعدى أن أتيتُ مُجرّحا

إليها وقد مَنّت علّي المقاتل

وكائِن أتاها هاربا قبل هذه

ومن غَانم فأين مِنك الوَلاوِل

تسلل تأبط شرا وبرفقته أثنان من مشاهير صعاليك العرب ، وهما : عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس .. قاصدين الإغارة على قرية من قرى قبائل بجيلة وتسمى (العوّص) ، وقيل أنهم وجدوا إبلاً أو غنمًا فأخذوها ، فلما علم فرسان العوص بهذه المكيدة هبُّوا لمطاردتهم .

فقام فرسان العوص البجليين بمطاردة تأبط شرا وصاحبيه حتى وجدوهم على رأس جبل ليس لهم طريق عليهم ، فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق، فقاتلوهم وقتل صاحبا تأبط شراً ونجا هو من القتل وهرب إلى بلاد قومه ، فعلمت امرأته بأمره وكانت أخت عمرو بن كلاب وأخذت تضرب فيه وهي تبكي : هربت عن أخي وتركته وغررته ، أما واللّه لو كنت كريماً لما أسلمته ..

فقال تأبط شرًّا في ذلك :

وَلَمَّا سَمِعْتُ العَوْصَ تَدْعُو تَنَعَّرتْ
عصَافير رَأسِي مِنْ غُوَاة فراتِنَا

ولَم أنْتظر أنْ يَدْهَمُونِي كَأَنَّهُمْ
وَرَائِي نُحل فِي الخَّلية وَاكِنَا

وَلاَ أنْ تُصِيب النّافِذات مَقَاتِلِي
وَلَمّ أكُ بِالشّد الذَّلِيق مَدَايِنا

فأَرْسَلت مثنيا عَن الشَّرِّ عَاطِفا
وَقَلْتُ تَزَحْزَحْ لاَ تَكونّن حَائِنا

وَحَثَحَثْتُ مَشْعُوفَ النّجاء كَأَنَّنِي
هِجف رأى قصْرا سَمَالاً وَدَاجِنا

مِن الْخص هَزْرُوفُ كَأنّ عِفَاءة
إذَا اسْتَدْرَجَ الفَيْفَاء مَدّ الْمَغَابِنَا

أزَجّ زَلُوج هَذرفي زَفازف
هِزَف يَبدّ النّاجيات الصَّوَافِنَا

فزَحْزَحْتُ عَنْهُمْ أوْ تجِئْني مَنِيَّتِي
بِغَبْرَاءَ أوْ عَرْفَاءَ تَعْدُو الدّفائنا

كَأنّي أرَاهَا المَوت لاَ دَرَّ دَرُّهَا

إذَا أمْكنت أنْيَابهـا وَالْبَرَاثِنَا
وَقَالَتْ لأُخْرَى خَلفها وَبَنَاتها
حَتُوفٌ تُنَقِّي مُخّ مَنْ كَانَ وَاهِنّا
أخَاليج ورّادٍ عَلَى ذِي مَحَافل
إذَا نَزَعُوا مَدُّوا الدِّلاَ والشَّوَاطِنَا

لم تتوقف مساجلات الغزو والطرد مابينه وبين بجيلة فكانت أشهر غزواته والتي ترددت كثيرا على دِفاف كتب التاريخ والأدب غزوته على أهل العوّص ومطاردتهم له حتى الطائف ولعل مرد هذه الشهرة يعود لعدة أمور منها طول مدة الغزو والطرد وتواجد أثنين من أشرس صعاليك العرب على الإطلاق بصحبته وأخيرا لجمال القصيدة التي أعقبت حادثته وعدّت من عيون الشعر العربي .

وهي ماجعلت أحد رواة التاريخ والأدب مثل المفضل الضبّي يجعل من قصتها كفاتحة مختاراته للشعر العربي وأيضا أختارها الشاعر الشهير أبو تمام لوضعها في كتابه الحماسة .

وكانت قصته محتواها أن تأبط شرا أغار بصحبة أثنين من فتاك الصعاليك المشهورين الا وهما الشنفرى وعمرو بن برّاق على حي من بجيلة تسمى العوص فأطردا لهم نعما، ونذرت بهما بجيلة، وخرج في آثارهما بعضٌ من فرسانها ومضيا هاربين في جبال السراة، وركبا الحزن، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبّة العين ، وجاءا وقد بلغ العطش منهما مبلغه إلى العين فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق: أقل من الشراب فإنها ليلة طرد .

قال: وما يدريك؟
قال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي وكان من أسمع العرب وأكيدهم .
فقال له أبن براق: ذلك وجيب قلبك.
فقال له تأبط شرا: واللّه ما وجّب قط يوما ولا كان وجابا ثم ضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال، فقال له ابن براق: فأنا أنزل قبلك، فنزل فبّرك وشرب وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة فتركوه وهم في الظلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا،

وأبن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه، فقال لهم تأبط شرا قاصدا عمرو أبن براق: إنه من أصلف الناس وأشدهم عجبا بعدوه وسأقول له: أستأسر معي، فسيدعوه عجّبه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم وله ثلاثة أطلاق: أولها كالريح الهابة، الثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا: فافعل، فصاح به تأبط شرا : أنت أخي في الشدة والرخاء، وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلي، فأستسلم، وواسني بنفسك في الشدة، كما كنت أخي في الرخاء، فضحك أبن براق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر من عنده مثل هذا العدو..؟

ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابة كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نفسهم عنه شيئا حتى عدا تأبط شرا في كتافه، وعارضه أبن براق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعا، فقال تأبط شرا حينذاك قصيدته القافية في ذلك :

يا عيد مالك من شوق وإبراق
ومرّ طيف على الأهوال طرّاق
يسري على الأين والحيات محتفيا
نفسي فدا من سار على ساق
طيف ابنة الحر إذ كنا نواصلها
ثم أجتنبت بها من بعد تفراق
لتقرّعن على السن من ندم
إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

تاللّه آمن أنثى بعدما حلفت

أسماءِ باللّه من عهد وميثـاق

ممزوجة الود بينا واصلت صرمت

الأول اللذ مضى والآخر الباقِ

فالأول اللذ مضى قال مودتها

واللذ منها هذاء غير إحقـاق

تعطيك وعد أماني تغر بـه

كالقطر مر على صخبآن بـراق

إني إذا خلة ضنت بنائلها

وأمسكت بضعيف الحبل أحـذاق

نَجَوْتُ مِنْهَا نَجَائِي مِنْ بَجِيلَـةَ إِذْ

أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبْتِ الرَّهْـطِ أَرْوَاقِ

لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِـي سِرَاعَهُـمُ

بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَـرَّاقِ

كَأَنَّمَا حَثْحَثُـوا حُصًّـا قَوَادِمُـهُ

أَوْ أُمَّ خُشْنُفٍ بِذِي شَثٍّ وَطُبَّـاقِ

لاَ شَيْءَ أَسْرَعُ مِنِّي لَيْسَ ذَا عُذَرٍ
وذا جَنَاحٍ بِجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ
حَتَى نَجَوْتُ وَلَمَّا يَنْزِعُوا سَلَبِي
بِوَالِهٍ مِنْ قَبِيضِ الشَّدِّ غَيْدَاقِ
وَلا أَقُولُ إِذَا مَا خُلَّةٌ صَرَمَتْ
يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقِ
لكنَّما عَوَلِي إِنْ كُنْتُ ذَا عَوَلٍ
عَلَى بَصِيرٍ بِكَسْبِ الْحَمْدِ سَبَّاقِ
سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ
مُرَجِّعِ الصَّوْتِ هَدّاً بَيْنَ أَرْفَاقِ
عَارِي الظَّنَابِيبِ مُمْتَدٍّ نَوَاشِرُهُ
مِدْلاَجِ أَدْهَمَ وَاهِي الْمَاءِ غَسَّاقِ
حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ شَهَّادِ أَنْدِيَةٍ
قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ جَوَّابِ آفَاقِ
فَذَاكَ هَمِّي وَغَزْوِي أَسْتَغِيثُ بِهِ

إذَا أسْتغَثتَ بِضَافِي الـرَّأسِ نَغَّاقِ

كَالْحِقْفِ حَدَّأهُ النَّامُونَ قلتُ لَهُ

ذُو ثَلَّتيْنِ وَذُو بَهْمٍ وأَرْبَاقِ

وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بَارِزَةٍ

ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مِحْرَاقِ

بَادَرْتُ قُنَّتهَا صَحْبِي وَمَا كَسِلُوا

حَتَّى نَمَيْتُ إلَيْهَا بَعْدَ إشْرَاقِ

لاَ شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إلاَّ نَعَامَتُهَا

مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِ .

ولعل قصة نهايته كما ذكرها أبوالفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني وقصتها كان صلبها الغدر والحنث بالعهود كعهده في سائر حياته .

قيل إنّ تأبط شرًّا خرج مع بعض أصحابه في غارة يريدون بني صاهلة بن كاهل من هذيل، وكان ذلك في نهاية شهرٍ حرام من الأشهر الحرّم التي كان متعارفًا عليها في الجاهلية، فوصلوا إلى بيتٍ فيه رجلٌ شيخٌ قد أرتاب منهم فأخذ سيفه ووقف يحرس أهله، فلمّا مضى الليل ولم يستطيعوا الوثوب عليه مشوا إليه وأغروه ببقية الشهر الحرام وشكوا إليه الجوع والعّازة .. فلمّا أطمأنّ لهم وأراد أن يكرمهم وثبوا عليه وقتلوه هو وأبنه الصغير.

وبعدها مضوا إلى بيت آخر كان به غلام شجاع يُقال له "سفيان بن ساعدة" وكان بحوزته قوسٌ وأسهم وكان تأبط شرًا يستتر بدرع لإتقائها وماهي إلا برهة حتى علّم أن الغلام لم يعد في حوزته سوى سهم واحد فقد أصطدمت باقي سهامه بصلابة درعه عندها علم الفتى أنه هالك لامحالة مع هذا الصعلوك الفتاك لذا عمد للحيلة بأن قام برمى حجرًا على الدرع

فظنّ تأبط شرًّا أنّ الغلام قد رمى سهمه وأستنفذ فرصه فرمى الدرع جانبا ليهاجم وأستغل الغلام الفرصة وعاجله بسهم نفذ إلى قلبه فقتله .

في وقت ذكرت كتب آخرى غير ذلك مثلما أفصحت عنه دائرة المعارف من خلال كتابها موجز دائرة المعارف الإسلامية وهو من تولى تأليفه وتنقيحه عددا من أساتذة الأدب المعاصرين وذكروا فيه أن مقتله كان في بجيلة وهلك في قتاله معهم في أرضهم على جبل يسمى تمّار.

أسد بن كرز البجلي

ربّ بجيلة



لم يكن لجريرا وحده السيادة على قومه فقد كان ينازعه عليها قائدا آخر الا وهو أسد بن كرز الذي كان صحابيا جليلا روى كثيرا من الأحاديث وينتمي نسبه إلى شق بن صعب (الكاهن الشهير في الجاهلية) وينتمي إلى بنو قسر إحدى بطون بجيلة .

كان أسد أحد سادة العرب في الجاهلية ومن صحابة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) في عصر الإسلام ونسبه كالتالي أسَدُ بنُ كُرْز بن عامر بن عبد اللّه بن عبد شمس بن غَمْغَمة بن جَرير بن شِق بن صَعْب بن يَشْكُر بن رُهُم بن أفرك بن نَذِير بن قسْر بن عَبْقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ البَجَلي ووالده كرز بن عامر الملقب (كرز الأعنة) أيضا كان أحد سادة العرب في الجاهلية ولعلنا قد تطرقنا فيما سبق نصرته لقيس بن الخطيم .

ونظرا لمكانة أسد بين العرب في الجاهلية والإسلام فقد خرج من ذريته الكثير من الأمراء والقادة وبالذات في عصر بني أمية فهو والد يزيد بن أسد أحد صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأحد قادة معاوية بن سفيان وأيضا من المقربين منه وذكره الشاعر علي بن الغدير الغنوي في قوله :

لو كان حجرُ من بجيلة لم ينّل
هناك ولم يقرع بأبيض صارم
يزيدهم أنجى أساراه بعدما
جرى قتلهم ذبحا كذبح البهائم

يعني بها يزيد بن أسد بن كرز البجلي ويقصد بها علو مكانته لدى معاوية بن أبي سفيان وشفاعته لبعض قومه لديه .

أيضا كما أسلفت القول كان أسد رضي الله عنه أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث عدّة وهو جد خالد بن عبدالله أمير مكة والعراقين (بلاد فارس ومايليها) وقد ضربت الأمثال وحيكت القصص عن خالدا وجوده وحلمه وحكمته وله من القصص والأحداث المؤثرة مالا يتسع له المجال هنا ولكن لايمنع الأمر من أعطاء موجزا مبسط عنه فقد أستعان خالد بكثيرا من بني قومه في إدارة شؤون الولايات فهو من ولى شقيقه أسد الذي أستعمل كواليا على خراسان مرتين، وولى أخيه الآخر أمية بن عبدالله قيادة الجيش للقضاء على الخوارج الحرورية الذين نشطوا في (الأحساء والبحرين والكويت حاليا) وتولى في عصره كثيرا من الولاة أمثال أبان بن الوليد البجلي وعبد الله بن عمرو البجلي وإسماعيل بن أوسط البجلي وضبيس بن

عبد اللّه البجلي كما وولى أمر الشرطة في عصره للسمط بن مسلم البجلي .

وبرغم ميّله للإستعانه ببني قومه إلا أن هذا لم يمنعه من القضاء على المغيرة بن سعيد البجلي الذي أشتهر أمره في الكوفة بمزاولة السحر والشعوذة .

وله كلمة مأثورة يعتز فيها بجذوره حين قال: (مازادت أمية في شرف قسر) ولعل هذا مادعى بأعدائه وحاسدية من زنادقة وخوارج ووزراء مغرضين للاستشهاد بها بقصد الإيقاع مابينه وبين خلفاء بني أمية لما له من مكانة عاليةلديهم فقد كان اليّد اليمنى لهم في إمساك زمام الأمور بدء بتوليته كأميرا لمكة وأنتهاء بتوليته العراق والمشرق فارس وخراسان وبلاد الترك ومايليها من بلاد ماوراء النهرين .

من مقولات خالد الشهيرة عن تولي إدارة الأمور قوله : لايحتجب الوالي إلا لثلاث خصال إما عييٌّ فهو يكره أن يطلع الناس على عيّه وإما صاحب سوء فهو يتستر وإما بخيل يكره أن يسأل ولكون خالد قد حارب فكر الخوارج فقد حاول مؤيدي هذا الفكر وبالذات أنصار الجعد بن درهم من تشويه صورته

وأسد أيضا جد أسد بن عبدالله الأمير الفاتح ووالي خرسان والذي تجاوزت فتوحاته بلاد ماوراء النهرين وبلاد الترك وصولا إلى بلاد الصين وهو من شيّد مدينة عربية أسلامية جديدة جنوب نهر جيحون سماها بلخ (مزار شريف حاليا) وقال عنه أبو البريد البكري :

ياخير ملك أمر رعية

إني على صدق اليمين لحالف

إن المباركة التي حصنتها

عصم الذليل بها وقرّ الخائف

ومما قاله عنه السجف المجاشعي :

لو سرت في الأرض تقيس
منها طولها و العرضا
لم تلق خيراً مرة ونقضا
من الأمير أسد وأمضا

وقال عنه ثابت بن كعب الأزدي الملقب ثابت قطنة:

أرى أسدا في الحرب إذ نزلت به
وقارع أهل الحرب فاز و أوجبا
تناول أرض السبل خاقان ردؤه
فحرف ماأستعصى عليه وخربا
أتتك وفود الترك ما بين كابل
وغورين إذ لم يهربوا منك مهربا
فما يغمر الأعداءِ من ليث غابة
أبيّ ضاريات حرشوه فعقبا
أزبّ كأن الورس فوق ذراعه
كريه المحيا قد أسّن وجربا

ألم يك في الحصن المبارك عصمة
لجـنـدك إذ هـاب الـجـبـان وأرهـبـا
بنى لك عـبـدالله حـسـنـا ورثـتــه
قـديـمـا إذا عـد الـقـديـم وأنـجـبـا

وكذلك كان أسد بن كرز جد القائد أمية أبن عبد الله والقائد أسماعيل بن عبدالله بن يزيد القسري البجلي كذلك كان جد (الأمير الثائر) يزيد بن خالد بن عبدالله البجلي كما وصفه الزركلي (في الأعلام) وهو أمير دمشق الذي قام فيما بعد بالثورة على بني أمية .

ذكر عن الخليفة هشام بن عبدالملك أنه أراد تولية الوليد بن يزيد أبن أخيه بعده نظرا لكون أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشر ومائة، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه، حتى يقال : إنه جعلها في صناديق، فسقط منها صندوق فيه كلب، فسمع صوته فأحالوا ذلك على الجمال، فضرب على ذلك.

قالوا : واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك، واستصحب معه الخمور وآلات الملاهي وغير ذلك من المنكرات، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه من الجلوس فوق ظهر الكعبة

خوفا من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك، فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مرارا فلم ينته، واستمر على حاله القبيح، وعلى فعله الرديء. فعزم عمه على خلعه من الخلافة - وليته فعل - وأن يولي بعده مسلمة بن هشام

لم ينتظم حتى قال هشام يوما للوليد : ويحك ! واللّه ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ، فإنك لم تدع شيئا من المنكرات إلا أتيته غير متحاش ولا مستتر، فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا
ديني على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجةً
بالسخن أحيانا وبالفاتر

فغضب هشام على أبنه مسلمة ، وكان يسمى : أبا شاكر، وقال له : تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أرقيّك إلى الخلافة.

ثم أن الوشاة سعوا مابين هشام وعامله على العراق وبلاد المشرق خالد بن عبدالله القسري الذي لم تشفع له خمسة عشر عاما من الولاية قضاها في عصر هشام وقام بعزله وسجنه وجميع أهله ومنهم أخيه أسماعيل وأبنه يزيد وأبن أخيه المنذر بن أسد ثم أستدعى يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ليحل مكانه ثم تدخل أبان بن الوليد البجلي على هشام وصالحه مع خالد ومن معه على مبلغ سبعة آلاف ألف وأخرج خالد بن عبدالله ومن معه .. فلما ولي يوسف الثقفي أمر العراق نزلت الذلة بالعراق في العرب وصار الحكم فيه إلى أهل الذمة.

أحتدم الخلاف مابين هشام وأبن أخيه وكان قد ضاق ذرعا من الوليد بن يزيد فأرسله على الموسم سنة تسع عشر ومائة وأظهر النسك والوقار، وقسّم بمكة والمدينة أموالا، حتى قال أحد موالي أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا
نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بأرسانها
ليس بزنديق ولا كافر

ورغم هذا لم يرتح هشام الذي وقعت بينه وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد ما كان يتعاطاه من الفواحش والمنكرات. فتنكر له هشام وعزم على خلعه وتولية ولده مسلمة ولاية العهد .

ففر منه الوليد إلى الصحراء، وجعلا يتراسلان بأقبح المراسلات، وجعل هشام يتوعده وعيدا شديدا، ويتهدده .

ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية، فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد بالخلافة، قلق الوليد تلك الليلة قلقا شديدا وقال لبعض أصحابه : ويحك .. قد أخذني الليلة قلق عظيم، فأركب لعلنا نبسط.

فسارا ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به، من كتبه إليه بالتهديد والوعيد، ثم رأيا من بعد رهجا وأصواتا وغبارا، ثم أنكشف ذلك عن برد يقصدونه بالولاية فقال لصاحبه : ويحك .. إن هذه رُسل هشام .. اللهم أعطنا خيرها.

فلما أقتربت البرد منه وتبينوه ترجلوا إلى الأرض وجاؤا فسلموا عليه بالخلافة، فبهت وقال : ويحكم .. أمات هشام ..؟!

قالوا : نعم ..!!

قال : فمن بعثكم ..؟

قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل، وأعطوه الكتاب فقرأه، ثم سألهم عن أحوال الناس، وكيف مات عمه هشام، فأخبروه.

فكتب من فوره بالاحتياط على أموال هشام وحواصله بالرصافة وقال:

ليت هشاما عاش حتى يرى
مكياله الأوفر قد طبعا
كلّناه بالصاع الذي كاله
وماظلمناه به أصبعا
وما أتيناه ذاك بدعة
أحله الفرقان إلى أجمعا

وقد كان الزهري يحث هشاما على خلع الوليد هذا، ويستنهضه في ذلك، فيحجم هشام عن ذلك، خوف الفضيحة من الناس، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك .

وكان الوليد يفهم ذلك من الزهري ويبغضه ويتوعده ويتهدده، فيقول له الزهري: ما كان اللّه ليسلطك عليّ يا فاسق ..!!

ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد الذي ركب من فوره من البرية وقصد دمشق، واستعمل العمال وجاءته البيعة من الآفاق، وجاءته الوفود، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية - يبارك له في خلافة اللّه له على عباده، والتمكين في بلاده .

ويهنئه بموت هشام وظفره به، والتحكم في أمواله وحواصله، ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده، وأنهم فرحوا وأستبشروا بذلك .

فلما ولي الوليد زمام الأمور سرعان ماوجه مجموعة من جنوده إلى حيث يقيم إبراهيم

ومحمدا أبني هشام بن إسماعيل المخزومي بالمدينة وأحضارهم مهانين لكونهما خالي هشام بن عبدالملك ثم بعث بهما إلى يوسف الثقفي في العراق والذي أخذ في تعذيبهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالا كثيرة .

وأخذ يزداد فيما كان فيه من اللهو واللذة والركوب إلى الصيد وشرب المسكر ومنادمة الفساق ، وتمادى في ذلك ، فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده ، وكرهوه كراهة شديدة ، وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه ، إفساده على نفسه بني عميه هشام وتسليمه لخالد بن عبد اللّه القسري إلى غريمه يوسف الثقفي وتعذيبه وقتله بينما كان أبنه يزيد في دمشق يجمع في قومه ويألب القبائل القحطانية عليه فانقلبوا عليه وتنكروا له بعدما ساءهم مقتل خالد وتعذيبه ومحاولة إذلاله .

*البداية والنهاية



تعذيب خالد ومقتله أوجد الأمتعاض في أنفس كثيرا من الوجهاء والشعراء الذين يتذكرون مآثر خالد وجوده فقال أحد شعراء عبس يندبه :

ألا إنّ بحر الجود أصبح ساجيا
أسير ثقيف موثقا في السلاسّلِ
فأن تسجنوا القسرّي لا تسجنوا أسمه
ولا تسجنوا معروفه في القبائل

وقال الوليد بن يزيد قصيدته التي أراد من خلالها التحدي لبجيلة وحلفائها من القبائل القحطانية وبرغم جمالياتها الأدبية إلا أنها أثبتت فشله في أمر تولي شئون المسلمين فمن كان في موقعه كان حريا به أن يجمع كلمة المسلمين ويعمد لنبذ الفتن والتعصبات مابينهم .

وقال الوليد متحديا :

أَلَم تهتج فتذَّكِرَ الوِصالا

وَحَبلاً كانَ مُتَّصِلاً فزالا

بَلى فالدَمعُ مِنكَ لَهُ اِنسِجامٌ

كَماءِ المُزنِ يَنسَجِلُ اِنسِجالا

فدَع عَنكَ أدكارَكَ آلَ سُعدى

فنَحنُ الأكثَرونَ حَصىً وَمالا

وَنَحنُ المالِكونَ الناسَ قسرا

نَسومُهُم المَذَلَّةَ وَالنَكالا

وَنورِدُهُم حِياضَ الخَسفِ ذُلّا

وَما نَألوهُمُ إلّا خَبالا

وَطِئنا الأشعَرينَ بِعِزِّ قيسٍ

فيالَكِ وَطأةً لَن تُستَقالا

وَهذا خالِدٌ أمسى أسيرا

ألا مَنَعوهُ إن كانوا رِجالا

عَظيمُهُمُ وَسَيِّدُهُم قديما

جَعَلنا المُخزِياتِ لَهُ ظِلالا

فلَو كانَت قَبائِلَ ذاتَ عِزٍّ

لَما ذَهَبَت صَنائِعُهُ ضَلالا

وَلا تَرَكوهُ مَسلوباً أَسيرا

يُسامِرُ مِن سَلاسِلِنا الثِقالا

وَكِندَةُ وَالسَكونُ فَما اِستَقالوا

وَلا بَرِحَت خُيولُهُم الرِحالا

بِها سُمنا البَرِيَّةِ كُلَّ خَسفٍ

وَهَدَّمنا السُهولَةَ وَالجِبالا

وَلَكِنَّ الوَقائِعَ ضَعضَعَتهُم

وَجَذَّتهُم وَرَدَّتهُم شِلالا

فَما زالوا لَنا أَبداً عَبيدا

نَسومُهُمُ المَذَلَّةَ وَالسَفالا

شَدَدنا مُلكَنا بِبَني نِزارٍ

وَقَوَّمنا بِهِم مَن كانَ مالا

فَأَصبَحتُ الغَداةَ عَلَيَّ تاجٌ

لِمُلكِ الناسِ ما يَبغي اِنتِقالا

ورد عليه عمران بن هلباء الكلبي قائلا :

قفى صدر المطية يا حلالا
وجذى حبل من قطع الوصالا
ألم يحزنك أن ذوي يمان
يرى من حاذ قيلهم حلالا
جعلنا للقبائل من نزار
غداة المرج أياما طوالا
بنا ملك المملك من قريش
وأودى جد من أودى فزالا
متى تلق السكون وتلق كلبا
بعبس تخش من ملك زوالا
كذاك المرء ما لم يلف عدلا
يكون عليه منطقه وبالا
أعدوا آل حمير إذ دعيتم
سيوف الهند والأسل النهالا
وكل مقلص نهد القصيري
وذا فودين والقب الحبالا
يذرن بكل معترك قتيلا

عليه الطير قد مذل السؤالا

لئن عيرتمونا ما فعلنا

لقد قلتم وجدكم مقالا

لاخوان الاشاعث قتلوهم

فما وطئوا ولا لا قوا نكالا

وأبناءِ المهلب نحن صلنا

وقائعهم وما صلتم مصالا

وقد كانت جذام على أخيهم

ولخم يقتلونهم شلالا

هربنا أن نساعدكم عليهم

وقد أخطأ مساعدكم وفالا

فإن عدتم فإن لنا سيوفا

صوارم نستجد لها الصقالا

سنبكي خالدا بمهندات

ولا تذهب صنائعه ضلالا

ألم يك خالد غيث اليتامى

إذا حضروا وكنت لهم هزالا

يكفن خالد موتى نزار

ويثرى حيهم نشبا ومالا

لو أن الجائرين عليه كانوا

بساحة قومه كانوا نكالا

ستلقى إن بقيت مسومات

عوابس لا يزايلن الحلالا

وقال أيضا منصور بن جمهور بن حصن الكلبي أحد قادة بني أمية والذي عين فيما بعد واليا للعراق وخراسان غاضبا من فعل الوليد بخالد القسري :

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكمْ فلقد

جربتم الغدر من أولادِ مروانا

ما زال من قتلوا عَمْرًا بغدرهم .

يدعونَ غدرًا بعهد اللّه كَيْسَانا

حتى أستباحوا سنام الأرض مملكة

قسْرًا فولّوا أمور الناس ولدانا

وَوَحّشُوا بكتاب اللّه وأتخذوا

أهواءهم في معاصي اللّه قربانا

ألا ترى مُضَرًا أضحت تثير معًا

حربًا وضربًا شتات الأمر وحدانا

يقطعون بنا أعناقَ سادتنا

ويعلقونَ بنا أثواب ذبيانا

- **كتاب أنساب الأشراف للبلاذري**
- **كتاب الأخبار الطوال للدينوري أبو حنيفة**

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

غضب القائد يزيد بن خالد أيما غضب لمقتل والده وكإنتقاما له أبتدأ بقتل يوسف بن عمر الذي تولى العراق خلفا لوالده خالد بن عبدالله ولم يطل به الوقت كأميرا للعراق حتى عزله الوليد بن يزيد فهرب يوسف بن عمر بعد عزله من العراق خوفا من أنتقام أتباع خالد بن عبدالله ومحبيه وهرب لبلاد الشام ، في الوقت الذي كان يزيد بن خالد البجلي بأنتظاره بالشام مع قومه بجيلة فظفر به وقتله ثم عمد بعدها إلى جمع وتحريض القبائل القحطانية على بني أمية أنتقاما لوالده فنهضت قبيلة بجيلة وقامت معها أيضا بعض القبائل القحطانية تحت قيادته ومنعا للفتنة وإنقسام الصف قاموا بمبايعة يزيد بن الوليد بالخلافة ومن ثم توجهت الجيوش القحطانية بقيادة يزيد بن خالد ومنعا للفتنة وتفرق الكلمة بمبايعة أبن عمه يزيد بن الوليد ثم عمدت إلى محاصرة الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد

الملك بن مروان داخل قصره والذي لم يطل به أمد الصمود فلم يمض وقت حتى تم أقتحامه عنّوة ودخل الثائرون للقصر وتمكنوا من حرسّه ثم أقبلوا بالخليفة الوليد بن يزيد مكتوفا وصاح بهلع حين أهوى يزيد اليه بالسيف قائلا : يا أبن سيد العرب لا تقتلني بأبيك، فو اللّه ما قتلت، وما أمرت به ..!!

فقال له يزيد بن خالد بسخرية (قصّد منها أهانته كما فعلوا مع أبيه) : ما أقتلك إلا بمولاي غزوان..!!

وفي ذلك يقول خلف بن خليفة البجلي :

تركنا أمير المؤمنين بخالد

مكبّا على خيشومه غير ساجد

فإن تقطعوا منا مناط قلادة

قطعنا بها منكم مناط قلائد

وإن تشغلونا عن أذان فإنّنا

شغلنا الوليد عن غناء الولائد

وأردف بعدها قائلا :

وإن سافر القسري سفرة هالك

فان أبا العباس ليس بعائد

أقرى معدّ بالهوان فاننا

قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وقال أبو محجن مولى خالد :

سائل وليدا وسائل أهل عسكـره

غداة صبّحه شؤبو بنـا الـبـرد

هل جاء من مضر نفس فتمنعـه

والخيل تحت عجاج الموت تطرد

من يهجنا جاهلاً بالشعر ننقضـه

بالبيض إنا بها نهجو ونـفـتـئـد

وقال نصر بْن سعيد الأنصاري مادحا يزيد بن جرير وممتدحا فعله :

أبلغ يزيد بني كرز مغلغلة

أني شفيت بغيب غير موتور

قطعت أوصال قنور على حنق

بصارم من سيوف الهند مأثور

أمست حلائل قنور مجدعة

لمصرع العبد قنور بْن قنور

ظلت كلاب دمشق وهي تنهشه

كأن أعضاءه أعضاء خنزير

غادرن منه بقايا عند مصرعه

أنقاض شلو على الاطناب مجرور

حكمت سيفك إذ لم ترض حكمهم

والسيف يحكم حكما غير تعذير

لا ترض من خالد إن كنت متئرا

إلا بكل عظيم الملك مشهور

أسعرت ملك نزار ثم رعتهم

بالخيل تركض بالشم المغاوير

ما كان في آل قنور ولا ولدوا
عدلا لبدر سماء ساطع النور

وهكذا أنتهى الوليد الذي لم تستمر خلافته سوى عام واحدا ولعل ماحدث من أحداث كانت بداية النهاية للعصر الأموي فقد حنّق البجليون على بني أمية وأنضموا إلى الحزب العباسي الذي بدأ عصره في الظهور .
بعد مقتل الوليد بن يزيد بدأت الفوضى تدّب في صفوف الأمة وبدأت دولة بني أمية في التداعي ولم تطل خلافة يزيد بن الوليد وأخيه إبراهيم سوى أقل من العام وتولى بعدهم مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار (آخر خلفاء بني أمية) .

مادعى نصر بن سيّار الكناني (آخر ولاة بني أمية في خراسان والتي ولاه أمرها الخليفة هشام بن عبدالملك بعد وفاة أسد بن عبداللّه القسري) للإستشهاد بأبيات للشاعر أبومريم البجلي (كان من رفاق نصّر بن سيّار) وأرسلها إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد محذرا إياه من خطر الخوارج :

وما ذمَ الكرامُ لديك عهدي

ولا حمدتــَ شمائلي اللئامُ

إذا صدعٌ تشعبَ لآثموهُ

وما صدعوا فليسَ له التيامُ

أرى تحت الرماد وميض جمر

ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى

وإن الحرب مبدؤها كلام

فإن لم يطفها عقلاء قوم

يكون وقودها جثث وهام

فقلت من التعجب ليت شعري

أأيـقـاظ أميـة أم نـيــام

فإن يقظت فذاك بقاءُ مُلكٍ

وإن رقـدت فـإني لا ألام

فإن يك أصبحوا وثووا نياما

فقل قوموا فقد حان القيام

ففرّي عن رحالك ثم قولي

على الإسلام والعرب السلام

لهذا وجدت أنه من المنصف أن أشير إلى أن هذه القصيدة التي نسبها الكثيرون لنصر بن سيّار بينما الواقع أنها ليست له فالمصادر التاريخية* تشير أنها للشاعر أبومريم البجلي وهو إسماعيل بن عبدالله البجلي .

هذه بعض المصادر التاريخية التي نسبت القصيدة إلى أبومريم البجلي :

*الدّر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدر المستعصمي

*الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي

*كنز الدرر وجامع الغرر لأبوبكر بن عبداللّه الدواداري

*التذكرة السعّدية في الأشعار العربية لمحمد بن عبدالرحمن العبيدي

*جمهرة الأمثال لأبوهلال العسكري

كان أسد بن كرز كذلك جد إسماعيل بن خالد بن عبدالله القسري البجلي أحد أعيان دمشق وهو من أصحاب أبو جعفر المنصور.

وإسماعيل بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري البجلي وهو شاعر بليغ صاحب ذو اليمينين وهو طاهر بن الحسين الشهير بالاعور.

وجرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري البجلي وهو الذي تولى اليمن في عهد المأمون (عبدالله بن هارون الرشيد) .

وأيضا عباس بن جرير بن عبد الله بن محمد بن خالد بن عبد الله القسري البجلي وهو شاعر يكنى أبو الوليد البجلي .

ومحمد بن خالد بن عبدالله القسري البجلي الذي تولى إمرة الكوفة في عام 132هـ وأستعمله أبو جعفر المنصور العباسي والياً على المدينة المنورة من سنة 141 هـ حتى سنة 144 هـ .

في إحدى أيام الجاهلية تنافر جرير بن عبد اللّه البجلي زعيم بنو قسر البجليين ، وخالد بن أرطاة بن خشين بن شبث الكلبي زعيم قبيلة كلب بن وبرة القضاعية في سوق عكاظ وبلغ ذلك أسد بن كرز وكان وقتها بينه وبين جرير تباعد، فأقبل أسد في مجموعة من الفرسان ناصراً لجرير ومعاونا له، وقيل أن أسدا لما أقبل في صحبه ورآه جرير قلق وأرتبك لخلاف كان مابينهما فقيل لجرير : هذا أسد جاءك ناصرا لك ومنجدا، فقال جرير: ليت لي بكل بلد أبن عم عاق مثل أسد ..

فقال جعدة بن عبد اللّه الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد:

تدارك ركض المرء من آل عبقر جريرا

وقد رانت عليه حلائبه

فنفّس وأسترخى به العقد بعدما

تغشاه يوم لا توارى كواكبه

وقاك أبن كرز ذو الفعال بنفسه

وما كنت وصالا له إذ تـحاربـه

إلى أسـد يأوي الـذلـيل بـبـيتـه

ويلجأ إذ أعيت عليه مـذاهـبـه

فتى لايزال الدهر يحمل معظما

إذا المتجدى المسؤول ضنت رواجبه

ولأسد بن كرز قصة طويلة مع الصعلوك والشاعر الشهير في الجاهلية تأبط شرا والذي ذكره ممتدحا جوده وشجاعته قائلا:

وجدت أبن كرز تستهل يمينه

ويطلق أغلال الأسير المكبل

وكان أسد ذو شعبية طاغية مابين أبناء قومه حتى لقبّ بـ (رب بجيلة) بمعنى أباها والقائم بشئونها .

وقال فيه الشاعر القتّال السحمي البجلي :

فأبلغ ربنا أسد بن كرز

بان الناي لم يك عن تقالي

كان ذو مأثر عديدة في الجاهلية فبجانب جوده وشجاعته وحكمته كان عزيز النفس كريم الخلق ومنيع الجوار وقد قال في إحدى قصائده مفتخرا بنفسه وقومه :

فلست كمن تزري المقالة عرضه

دنيئا كعود الدوحة المترنم

وماجار بيتي بذليب فترتجي

ظلامته يوما ولا المتهضمي

وأفرّك آبائي وقِسر عمارتي

هما ردياني عزتي وتكرمي

وأحمسّ يوما إن دُعيت أجابني

عرانين منهم أهل يد وأنعم

لازلنا ننهل من مأثر بجيلة في أحترام الجيرة وصيانتها وسنتطرق لما ذكر عن أسد بن كرز أنه في أحد الأيام قصد إليه رجل مستجيرا من قبيلة آخرى وكانت لهذا الرجل الكثير من الإبل والأنعام وكعادة بجيلة أيامها فقد أولى أسدا أمره لأحد أفرادها لأحصائها وتدوينها فقامت قبيلة بنو سحمة وعرضوا لجار أسد بن كرز وأطردوا إبلا له وحين وصل الخبر إلى أسد غضِبً من ذلك غضبة شديدة لإنتهاك جِواره ثم هب مع قومه لقتالهم فهربوا وأخذ يتتبعهم حتى ظفّر بهم وأوقع بهم وقعة عظيمة على اثرها عاذوا به وأعتذروا عن فعلتهم نادمين .

فقال القتّال السحمي فيه عدة قصائد يعتذر إليه من خلالها لفعل قومه ومنها قوله :

فأبلـغ ربّنــا أسـد بن كــرز

بأنّي قد ضللت وما أهتديت

وحينها عفا عنه أسد وعاد إلى قومه وأعاد الحق لصاحبه وكان شاعرا مغوارا فقال قصيدة كان مطلعها :

ألا أبلغا أبناء سحمة كلها
بني خثعم عني وذل لخثعم
فما أنتم مني ولا أنا منكم
فراش حريق العرفج المتضرم
فلست كمن تزري المقالة عرضه
دنيئاً كعود الدوحة المترنم
وما جار بيتي بالذليل فترتجي
ظلامته يوما ولا المتهضم
وأقـزّل آبـائي وقِسر عـمـارتي
هما رديـاني عـزتي وتكـرمي
وأحمس يوما إن دعوت أجابني
عـرانـيـن منهم أهـل أيد وأنـعـم
فمن جار مولى يدفع الضيم جاره

إذا ضاع جاري يا أميمة أو دمي

وكيف يخاف الضيم من كان جاره

مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

وعلى إثر ذلك لحقت طائفة من بنى محلّم بن الحارث بن ثعلبة بن سحمة، ببنى محلّم بن ذهل بن شيبان وأقامت طائفة منهم في بجيلة فقال رجل منهم فى ذلك :

لقد قسمونا قسمتين فبعضنا

بجيلة والأخرى لبكر بن وائل

فقد متّ غمّا لا هناك ولا هنا

كما مات سقط بين أيدى القوابل

*تاريخ الرسل والملوك للطبري

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

القبائل والبطون الحالية

لقبيلة بني مالك الحجاز (بجيلة)



ماهو قادم من قصص وأحداث تختص بموضوعنا الرئيسي (الجوار) يحتاج لتعريف أوسع عن قبائل بني مالك بجيلة وبطونها وقراها لهذا أرتأيت التعريف بها حتى تكون الرؤية أوسع وأشمل وأكثر وضوحا عن المناطق والقرى وتفرعاتها ومناطق تواجدها .

قبيلة بني مالك هي من سلالة قبيلة بجيلة التاريخية وهم الوارثين الأصليين لمعظم ديارها القديمة والتي بعضها هُجر وأستوطنته قبائل آخرى حليفة ومجاورة
وتشير العديد من المصادر أن مسمى بني مالك حلّ مكان مسمى بجيلة في الفترة مابين الف ومائة والف ومائتبن هجرية ويعود المسمى نسبة إلى قسّر (مالك) بن عبقر بن أنمار بن آراش .

وتمتد أراضي بني مالك بجيلة حاليا مابين جنوب الطائف في السراة وحتى محافظة الليث في تهامة ويحدها قبيلة بني الحارث شمالا وقبيلة زهران جنوبا وقبيلة ثقيف في الشمال الغربي وقبيلتي غامد السرو وبنوالحارث في الجنوب الغربي .

بينما في تهامة يحدها محافظة المخواة من تهامة زهران جنوبا ومحافظة الليث (التي لازالت تستوطنها قبائل من بجيلة مثل (بجالة وبنو هلال) غربا وبنو ذبيان (تعود أيضا إلى قبيلة بجيلة) شمالا .

تتفرع قبيلة بني مالك بجيلة إلى أربعة بطون رئيسية تتوزع مابين أقليمي السراة وتهامة وينحدر منها قبائل عدّة وكذلك قرى متعددة وهي كالتالي /

- أبا النعيـم
- بنـي عمرو
- بنـي حـــرب
- بنـي عــلــي

أبا النعيم

(منازلهم في السراة فقط)

ويضم فخذ أبالنعيم القبائل التالية :

1 - **قبيلة بني دهيس**

وهم ينقسمون إلى ثلاث قبائل :

-القاسم

وتتألف من القرى التالية :

الشطفة – الغلطة - الحدب - العمشان – القرا - الدحمة - المقصرة – القزيعة - الملحة - الريع - موردة - الحماطة - المدارة .

-المحارزة

وتتألف من القرى التالية :

السنوان - الهبار - القدارة - المسايبة - الحطمة - الحصبة - الشترة - الغريب - الصخرة - نعمان – الحوزة

-الصمّان

وتتألف من القرى التالية :

الصمان - الحامرة - القرين - الصفاح - صخبر - الشفا - الدار البيضاء - الشعفة - الحكة - حديب عباس - الصفاح - راجح

2- قبيلة بني عبدالله

ويتفرعون إلى فرعين :

- الفرع الأول

يقطن في أعالي السراة وتحيط قراه بمركز حداد وهي كالتالي :

الحميان - القضاة - الحونّة - الموارقة - الرافع - قعرة - الحجلاء – المروى - المشاييخ – الصواغة - الحدادة - العقدة - راوان الأسفل .

-الفرع الثاني

وهم من تم الاصطلاح على تسميتهم ببني عبدالله اليمانية (الجنوبية) ويتواجدون بغالبيتهم في وادي حديد الذي يتألف من القرى التالية :

الشعاتيّر - السرّاحين - الرمحّة - المساتير - المهادية - الأخيار - أبو شائق

ومن قراهم في بجيلة :

اليعاسيب والهملة والمشهق

3- قبيلة بني أحمد

تتألف من القرى التالية :

البناة - المشاقيف - الشظابية - الشلان - الهولة - الصاغية - الوعير - الحسنى - الداهن - الدبوس - آل عطية - الفارعة - الريع - النفيل - آل عيضة (الحلاة) - قدامة - العرق - الشرقية .

4- قبيلة قريش

وتتألف من القرى التالية :

الحسناء - الرواجح - الوادّة - الجعّلان - زبادة- القهب - الواكد - آل صموت - العضد - الفعرّة - سدان عفيف - الشرية - عويرة - العرق الأملح - الحميمة - سيحان - الخيران - العدانة - الضرفة - العامر - الفضلة - العميرة - العالي - الجباهين - عبيل - الفرعة - الغريسة - شريان - الخيمة - العرق - القحف - الأثلة - الحفار - سحبان - الدشاما

بني عمرو

مواطنهم :

السراة وتهامة

1- قبيلة أبا الحليس

وتتألف من القرى التالية :

الفطيمة - الرهط - قاعس - الشولان - عبال - الحسنة

2- قبيلة المطاع

وتتألف من القرى التالية :

العصم - صيادة - بويهب - نهاب - الشلان - الحلية - خود

3- قبيلة أهل معزا وقراها :

معزا - الحناحنة

4- قبيلة الشمالين وقراها :

السهوى – البرت

5- قبيلة الرضاوين وقراها :
بوا - نانا

6- قبيلة الوهباء وقراها :
نانا - الوهباء

7- قبيلة السلامين :
السلامين

8 - الغِفرة
وتتألف من القرى التالية في تهامة :
الدار الحمراء - بخيان - كر
ولهم في السراة قرية واحدة :
عديّلة

9- **بني عفيف**

غالبية قراهم في أضم بتهامة وهي:

آل جاملة - المحاميد - آل صفية

ومن قراهم :

الشعبة - ريع الطارف - رحب

ومنهم أيضا :

السراحين - الشرّمة

ولهم في السراة :

المعاقبة

10- **بني رباح**

ومن قراهم في السراة :

راوان الأسفل -الرزقة - مشاييخ العقدة - الحشان- الهلال - الشرفية - المزرعة

وقرية واحدة في تهامة :

صخوان .

11- الجهالين

وتتألف قراهم من :

المزايع - الجهالين - الحمّة

12- أهل شوقب

ويتألفون من القرى التالية :

الضّبعة - المصاقعة - شقاوة - ريع النبق - الطرف الأعلى - بُضاء - الطرف الأسفل - المشارقة - الجذية - المروى

بني حــرب

مواطنهم

(السراة و تهامة)

وينقسمون إلى فرعين رئيسين كبيرين وكل قسم منهما له أفرع تتوزع مابين السراة وتهامة :

الفرع الأول

قبيلة أبا الحارث

ومواطنهم وادي مهور في السراة وأضم في تهامة .

1- أهل العاصد ويتألفون من القرى التالية :

آل عازب (البريّف) - المفاتيح – العاصد - الغانم - آل فاضل - القطفان - الفرادسة -آل خضر - آل عبدالهادي - آل خلف اللّه - الزبادية - الرجّع - الحورية

2- قبيلة بني محمد

وتتألف قراهم من :

القرن - الأصافرة - الزهّرة - الهدية - القطّرة - القنيبة

3- قبيلة بني سفيان وقراهم :

الربّعة - الجبابير - الصخيرة

- قبيلة بني عبداللّه :

ويتبع هذا الفخذ قرى عديدة في تهامة ويتبع لهم بالسراة قرية "القضاة" إضافة لقبيلة العصّمان

والتي تتبعها في السراة القرى التالية :

العين - الهيزع - الخضرة - المعلاة - الكضامة - شعب صالح - الفواعيس - آل حزام –

قبيلة آل حسان

ولهم قريتان في السراة هما :

الحديّب - الشعيب

وقراهم في تهامة بمنطقة أضم :

الصار - لفقة - ملحة

قبيلة القرّو :

قراهم في منطقة أضم في تهامة كالتالي :

الغرات - القرن - الفارعة - في السراة

قبيلة آل معافا :

يقطنون أيضا في تهامة في منطقة أضم

وقراهم تتألف من :

ضبيعة - الشباء - الضبع - السوقة - سوق الشيخ - آذان - القرشوع - قرن جابر - ضبيعة العليا - المقر - القريع - مشاقيب - رحمة - الصمر - الفرعة - الاجراف - بيضان - شوا - القرين - الصفيح - ام الحجر - الحبواء - زيزاة - الرهوة - الاعلى - أبو الحلاة - السلم - العزيزية

الثاني / بني ثابت

1-قبيلة الخضارين وقراهم :

ا - الشعب - الأشرق - الصفح - قوشة - الكماحين - الحنو - شباح - النهارين - القزعة - الفرعة - الطوال - الدار - الحدب - النجمة - الحصنا - الرهوة - الصلفاء

2- قبيلة بني دحيم وقراهم :

3- بني ظويلم (السراة)

4- الحضارمة

5- السوحة (السراة)

آل مسلم - آل أبراهيم - آل عمر - آل هاشم

6- النعاثلة في الجائزة في تهامة وقراهم :

سرقا - الدحلة - مرعة - آل بو كف - العبدة - آل دخان - آل مهدي - آل وافي

بينما قراهم في السرّاة البشران .

7- البقلة في منطقة الجائزة في تهامة
وقراهم :
قراض

8- قبيلة البكرة في منطقة الجائزة في تهامة
وقراهم :
سلعة - سرقا

بني ظويلم - تهامة :
في منطقة الجائزة في تهامة وقراهم :
آل عيبل - العرام - أم الباب –

آل مفضل :
في منطقة الجائزة في تهامة وقراهم :

الدرج - العشة - المبداة - الحبس - الفرعة

الرقعان:

في منطقة الجائزة في تهامة وقراهم :

الوجرة - غنما - الرزمة – الوقرين

السوحة :

في منطقة الجائزة في تهامة وقراهم :

قراض - الغر - اللصيف

آل ساعد - اللصيفاء - المحال

بني علـي

منازلهم :

السراة وتهامة

بني عبيد /

وتضم القبائل التالية:

قبيلة بني سفيان:

العدول – الزريبة – السعدة – الخلفان – الوحشة – عبده – عضداء – الصريف

قبيلة بني مخشي :

بني عامر – العازوزة – العقدة – أصفة – القّحصَة – الفضلة – موقد – وَدّ – عاذر – الريّا – رحثا - كيد

قبيلة بني إسماعيل:

القاع – نوَلة – المضحاة – الطرف – الشعشعي – القرا - البو

بني عاصم /

في السراة :

السايلة - حرف - عويا

قرى السايلة :

الوهسة - آل غالية - الحدب - السايلة - المروة - قريضة - بلاسا - قملان - الركبة

قرى حرف :

الأحلاف – آل بالأسد – المرازيق – المسالمة – الشمول – آل بشير – آل سعد - السلاطين

أهل الجرداء في تهامة

وهم تابعين إداريا لمركز الجائزة في تهامة

ويستوطنون جرداء بني عاصم تهامة ويتوزعون في القرى التالية :
الحدبة – خيراء – محوية – شريان – دغماء – الفرضة – القتب – الدحال – أبو شوك – سوادي – ظهر القرا – حميس – البياضة – القمعة – عبيكة – غياض – الدويخل – العبلاء – القريع – اللحيان – الرخم – البكة – شحمان – القدر – الموجهة – الورك - الدحيل

بني سعد /

وهم: العبلة – الحدة – الجريعاء – عتام – المقلع – آل عياش – العتلة - الحدب

أباالمار /
بني محمد:

الحمدة – القريع – قصرة الوادي – قصرة الحجرة

بني مخشي:

العتلة – رماح – الجابر – الحديدة – الرفاعة – العشة – الجمال – صر

بني هراوة :

الدارين – الزبرة – الحنانة – الخباتية – الطياسنة

المشاييخ :

القريع - آل هيف – آل جومان – آل هادي – الدعاملة

الشبان:

آل بلال – الحفرة – آل هزاع – الملد – قريش – الجملان

بني حشر :

الحجرة – الرجمة – الصفا – كيد الخلا - كيد الأموال

*الحجاز وهو المكان المرتفع بين إقليمي نجد وتهامة وتسمى سراة بجيلة .

*تهامة وهي المكان المنخفض والمتدرج الأرتفاع بين الحجاز والسهول المنحدرة والمحاذية لسواحل البحر الأحمر وتسمى تهامة بني مالك .

مجاورة الشاعر الكبير غرم اللّه الحميم

(رحمه اللّه تعالى)

لقبيلة القاسم



أستمرت عادة الجيرة لدى هذه القبيلة الحجازية العريقة منذ الجاهلية وحتى عهدا قريب وصولا إلى سليلتها بني مالك بجيلة التي تعد من القبائل القليلة التي نسبها متواتر لم ينقطع (أستشهادا بالمصادر التاريخية) فلقد أحتفظت بمواطنها ومنازلها ولازالت فيها حتى عصرنا الحاضر بل الأكثر أن أبنائها توارثوا مكارم أخلاق من سبقوهم من أحتفاء بالضيف ونجدة المستغيث وأكرام من أستجار بهم بل الأستماتة حتى لايخفر جواره فمما روي عن الشاعر الكبير غرم اللّه الحميم صاحب الحكم والمأثر الشهيرة وهو من قبيلة بني علي أحد الأفخذ الرئيسية في قبيلة بني مالك بجيلة في السراة أنه مضى عليه في أحد الأزمنة ضنك وعسر حال وضاق به الحال هو وجماعته لجفاف الأبار وتأخر نزول الأمطار في منطقتهم .

حيث كان الناس حينها يعتمدون بشكل شبه كلي على الزراعة العثري والتي تعتمد على المطر أعتمادا رئيسيا خاصة محصول البّر (الحنطة) وكأني بحالهم كما صوره الشاعر أبوالبقاءِ الرندي قائلا :

هي الأمور كما شاهدتها دُولٌ

مَن سَرّهُ زَمنٌ ساءتهُ أزمانُ

وهذه الدار لا تُبقي على أحد

ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

لذا كان من الطبيعي أن يطلب الجوار من جماعته وبني عمومته فلجأ إلى أبا النعيم وهي أيضا من أفخذ بني مالك الرئيسية وتحديدا كانت وجهته بإتجاه قبيلة القاسم من بني دهيس وكانت وقتها مزدهرة بالمحاصيل وأنعام اللّه المختلفة .

قصد الشاعر الحميم الشيخ أحمد بن علي بن شطيرة الملقب بالحبصي والذي يعد رحمه اللّه تعالى بجانب أخوه عالي من كرماء بني مالك المشهورين (رحمهم اللّه تعالى) وأستمر لزمن ليس بالقصير مقيما معهم كجار وعن جيرته معهم قال التالي :

قال الحميمي يوم شانت مزارعنا
ذكر لي إن الصيف في ديرة القسّم
ورحت عند أحمد وعالي عسى يسلم
وباشروني بالتراحيب والقدري
واللي حصلي من بني دهيس وبنأحمد
حمول مايحصى عددها وأرادبها
من جود عاقلهم ومن جود جاهلهم
عزمت أحمل حمل سيارة بر صافي
من غير حسد ولا جفى ولا تبيخالي

جيرة آل جاملة

(من بني عمرو)



قبل هذا الزمن بعشرات السنين سأحكي لكم عن مجموعة قصص لحوادث مختلفة الفصول والتفاصيل تحمل مضمون واحد عنوانه وفاء وشيمة وأصالة هذه القبيلة القابعة في شموخ على سفوح جبال السروات وأودية تهامة والتي ستشهد ربوعها معظم ماهو قادم من قصص تاريخية ..

تعد قبيلة آل جاملة (عبارة عن مجموعة قرى تحت هذا المسمى) ومنازلهم تقع في وادي رحب الذي يجاوره قبيلة بني ذبيان وتعد آل جاملة أحد المفاصل الرئيسية في قبيلة بني عفيف بجانب السراحين والسلامين وآل صفية والمحاميد والشّرمة والمعاقبة والذين يعودون بدورهم إلى بني عمرو أحد البطون الرئيسية في بني مالك وبالمقابل منهم كان القاسم أيضا (عبارة عن مجموعة قرى تحمل هذا المسمى) أحد أفرع بني دهيس بجانب أخوتهم

المحارزة والصمان وهما أيضا عبارة عن مجموعة من القرى تنطوي تحت المسميين السابقين ويعود الجميع بجانب قبائل بني عبدالله وبني أحمد وقريش إلى أبا النعيم أحد بطون بني مالك الرئيسية .

وكانت وقتها المطالبة بما يسمى بالنقا (الثأر) مابين هاتين القبيلتين (أيام فوضى وجهل لاأعادها اللّه تحكمها الحميّة والتعصب القبلي) ما تكاد تهدأ حتى تعود من جديد حتى أخذت الخلافات طابع الشمولية مابين الفخذين ومنشئه غالبا الحدود القبلية مابين أبا النعيم وبني عمرو أو مايسمى بالحمى*

ولعل مايؤكد هذه المهاترات في تلك الأزمان محاورة تمت مابين شاعرين متنافسين من الطرفين يعدون من الشعراء الصفوة بين شعراء بني مالك والمنطقة إلا وهما حنش المطاعي من بني عمرو ومصلح القرّة من أبا النعيم (رحمهما اللّه تعالى) بدأها حنش موجها خطابه الشعري للقرّة وجماعته قائلا :

سـرّ يـانـديـبـ(ن) مـاتـغـشى وجـهـه الـلـوم

أسـرع من الـبـرق وأسـرع م الـصـبـا والـعـوالـي

صاوب بها مصلح الشاعر وخل العلم مختوم

يـشـيـر ربـعـه هـّل الـقـالـه كـريـمـيـن الـسـبـالي

ان كـان يبغون ستر اللّه يخلون الجم مـردوم

قـدام تـورد عليه الطير وسـبـاعـ(ن) شـوالي

واللّه ان قـدّر الـمـولى لنغـيـر الـعـلم بـعـلـوم

وانه ليغدي حياها متمـايـد(ن) في فج خالي

وإني بقيفـ(ن) اليّـا قـالـوا جـا للقوم يـاقـوم

نـبـدي بزين سـلال وليّـا بدينا حظنا عالي

فرد عليه الشاعر مصلح القرّة قائلا :

ياللي ترد السوال إن كان عندك خط مرسوم

بنقرا خطابك ثم نبدي شورنا في كل حالي

إن كان تبغي طريق الحق فان الحق مفهوم

وأطرح عقالك وأنا ف الحق بطرحلك عقالي

وإن كان تبغى الخطا منته على العيلات ملزوم

تلقى الذي عادته يسقيك من مرّ(ن) وحالي

منته بجاحد حمانا اللي من الجدان مردوم

واليا جحدتم حمانا معي لك أولاد الحلالي

منته بمخدوم في هذي ولاني بخدّوم

وجمالكم من قبل لوهدّرت تعرف جمالي

لم يكن آل جاملة لوحدهم العدو الرئيسي للقاسم فثمة عدوا آخر يقطن بأسفل السفح المقابل والقريب من تهامة متمثلا في قبيلة البشران التي تعد الجزء السروّي من (النعاثلة) فمعظم قراهم في تهامة وهم بدورهم ينتسبون إلى بشير بن عبيد بن عبدرب النبي النعثلي وينتمون إلى قبيلة العبدة من النعاثله وينتسبون بمجملهم إلى آل ثابت من قبيلة بني حرب وهو بطن آخر أيضا من بطون بني مالك الرئيسية وأستقلت (قبيلة البشران) بمسماها عن قبيلة النعاثلة منذ زمن ليس بالبعيد وينطبق على البشران ماينطبق على القاسم والجاملة من حيث أنها كما أسلفنا عبارة عن مجموعة من القرى تستظل تحت مسمى واحد ولعل موقع القاسم الذي يتوسط ويشرف على القبيلتين هو ماجعل الأمور تأخذ منحنى الثأر مع الطرفين ..

أستغل شخصين من القاسم قرب غروب الشمس وميلان الشفق إلى الأحمرار معلنا قدوم الليل متسللين بهدوء وحذر للثأر من البشران عقب مقتل أحدهم مؤخرا في أطار الثأر المتبادل وقديما كان الثأر يكتمل بحجم القتيل ومكانته في قومه لذا سعوا لأختيار الضحية بدقة حتى أستقروا على أحد كبار القوم ثم أطلقوا النار عليه فأسترعى صوت البندقية أبناء قبيلة البشران فتنادوا يعتزون للحاق بأصحابها بأصوات عالية وفطنوا إلى أن خط الرجعة يمر بمنطقة تسمى الجريئة أو كما تسمى باللفظ المحلي (الجريّة) وهي أعلى شفا الغلّطة (أحد قرى القاسم) وتشرف على تهامة مباشرة .

فسبقوا بالبنادق خصومهم إليها وبالتالي أنقطع خط الرجعة وأخذت الجموع تتزايد وتضيق الخناق على الشخصين من خلال المطاردة التي تمت تحت ضوء القمر من الأعلى وعلى السفح وأخذت الأصوات الحانقة تتداعى خلف الشخصين مختلطة بالدعوات لقتلهم وبين من يطالبهم بالتوقف والأستسلام ومع وقع المطاردة الشرسة التي أستمرت لمسافة ليست بالقصيرة لم ينتبه المطاردان لأنفسهما إلا وهما قد دخلا على عرين عدوهم الآخر (آل جاملة) وهنا لم يرى أحد المطاردين بدّ من دعوة رفيقه للحاق به وقصد مسرعا أحد بيوت القرية ممتشقا جنبيته وطعن بها شكوة في فناء هذه الدار (عبارة عن جلد مدبوغ يحفظ به اللبن) وأخذ يدخل رأسه فيها ويشرب من لبنها .

وهذا الشيء كانت له مدلولاته في الزمن الماضي بما معناه أن المستجير قد تحرم بشرابك أو طعامك مما آدى إلى قفز الجاملي صاحب الدار معتليا داره وصارخا بقومه بعزة وصلتوا وخاب طلابكم وزيتوّ ويامرحبا بكم ..

العهود هنا لايمكن نقضها بأي حال من الأحوال إذ سيعرض نقضّ أصحابها لها لعارا يحملونه جيل أثر جيل لهذا أحترم أبناء آل جاملة ماقرره أحد أفرادهم حينما أجار الشخصين حتى ولو كانوا من أعدائهم ولكنهم وبعد أكرام ضيوفهم ظلوا في حيرة من أمرهم للخروج بالمستجيرين إلى مأمنهم في ظل سد البشران لجميع طرق العودة منتظرين على الحدود الفاصلة خروج هؤلاء الجانيين .

كان من المعيب تسليم من أستجار بهم إلى خصومه أو التنصّل عنهم وأخراجهم فقد يتعرضون خارج حمى القبيلة للقتل ولكن بعد تشاور وأنتظار عمد آل جاملة لإرسال رسول منهم إلى أهالي المستجيرين من قبيلة بني دهيس لطمأنتهم على سلامتهم والطلب منهم أرسال وفدا منهم فقدم عددا من وجهاء ورجال أبا النعيم للتفاوض وحل الأمر وبعد الأتفاق صنع الجميع مايشبه الدائرة الكبيرة كان بداخلها الهاربين يحيط بهم وفد أبا النعيم ويحيط بالجميع أفراد قبيلة آل جاملة .

وهو الأمر الذي لم تستطع معه قبيلة البشران من فعل شيء خصوصا وأن أي طلقة خاطئة قد تعني هدفا خاطئا وهو الأمر الذي سيفتح عليهم النار من جبهتين في آن واحد

ترافقت القبيلتين حتى تم إيصال المستجيرين إلى نقاط حدود بني دهيس من جهة الصمان في منطقة شفا تسبق أراضي البشران وتطل على سهول تهامة وتسمى الحكّة وأيضا في الوقت نفسه تسبق شفا الجريّة الخاص بالقاسم ثم عاد رجال آل جاملة أدراجهم إلى ديارهم .

غضبّة أبن شعتور

وتهديده للقاسم



عمر بن محمد بن شعتور كان من فرسان بني مالك وشعرائهم الكبار القدامى وهو يعود إلى بني عبداللّه من أبا النعيم من الجهة اليمانية منها (الجنوبية) وكانت قبيلة حديد التي ينتمي لها تسمى (بني عبداللّه اليمانية) الجدير بالذكر أن شاعرنا عاش ومات رحمه اللّه تعالى قبل قيام الدولة السعودية وكان منذ مايزيد عن 170 عاما في زيارة إلى أحد أصدقائه من قبيلة البشران (الجزء الحجازي من قبيلة النعاثلة) وكان أبن شعتور حليفا لهم ، ماحدث أنه أثناء مكوثه لديهم كضيف سمع صوت طلقات نارية وأعقبها هرج تلاه أختلاط أصوات تندب قتيلا وآخرى تطالب بالثأر وحين خرج للأستطلاع أتته الأخبار بأن شخصين من قبيلة القاسم قد قتلا أحد أفراد قبيلة البشران كمخلاص عندها أخذ يتأمل الموقف وشعر بالإهانة لكونه ضيف

على قبيلة القتيل وأخذته الحميّة وثارت الدماء في عروقه .

خرج أبن شعتور من عند مضيفيه البشران في ظلمة الليل لا يألوا على شيء سوى الأخذ بثأر حليفه البشراني من قبيلة القاسم فأرسل مندوب يحمل مطلبه بتسليم القاتل حقنا للدماء ومنعا لتطور الأمور وأرفق معه أبيات شعرغاضبة تحمل التهديد إلى شاعر القاسم وأحد فرسانها وأعيانها وهو عبداللّه بن زحافّ قال فيها :

يا نـديـبـي عـلى مربـوع الأخـفـافـي*
من جـمـالـ(ن) تجي هـدوا للاشـرافـي
صـوب دار الـقـزيـعـه* حد الأطرافي
وأنـصّ دار أبن بـاشــه مـركـز اللافــي
وأنصّ حيد(ن) بني فالوجه والقافي
وأنـصّ لي بـالـخـبـر دار أبن زحــافـي

الـذي سـلـف الأعـلام سـلافـي
وأنـصّ من حـيـلـتـه تـلـعـب بعرافي
ما نبي شـرگـم يـاصـور صـرافـي
وأثـرگـم الـجـبـال على تشفشافي

ياشـهر(ن) بـدا وضـحـت وضاحـي
خـلّص مطلبي لافضحك فضاحـي
نـلـحـق الخاصمي لو كان في بـرقـهّ*
خل بـه ما نـصـبّـحـكم في الضاحي*

بدأ الشاعر أبن شعتور في أبياته برسم خارطة طريق مندوبه من وادي حديد بدأ من أطراف قبيلة القاسم حيث قرية القزيعة حتى وصوله لأبن زحاف حيث مكانه مصورا إياه بأنه من أعلام بني مالك ودهاتها وأنتقل بعدها مطالبا إياهم بتسليمه من قام بالقتل وختم أبياته بتهديد ذكر فيه أنهم سيلحقون

بخصمهم حتى لو كان في برقة البعيدة

فمبالك بأهل الضاحي القريبين .

*مربوع الأخضافي : الجمل أو الناقة .

*القزيّعة : إحدى قرى القاسم .

*برّقه : مدينة في ليبيا (كناية عن بعد المسافة) .

*الضاحي : قريتي الغلّطة والعمشان تندرج تحت مسمى قرية الضّاحي وهي مركز أبن زحاف .

وجد مطلب أبن شعتور الذي يحمل التهديد الغضب والرفض القاطع من قبل كافة القاسم خصوصا وأن ماتم (بحسب رأيهم) كان مخلاصا لثأر وبالتالي فقد رد عليه أبن زحاف قائلا :

يا أبن شعتور لاتغدي تمنى فتنة أبا النعيم

وأنت في قبر الأحيا* مامعك للحرب عاتّه وزاتّه

وأن بلتك البلايا من يمن ماردفك إلا نحن

وأردف أبن زحاف قائلا :

عزوتي حضروا لك مدرج الماوي* وبطنك سقيم

وأن تمنيت واحد من القسّم توسّع طعانه

إن ربعي نحاز العيسّ* ماتدري بها إلا تحّن

*قبر الأحياء : قصد به وادي حديد لكونه منطقة منخفضة .

*مدرج الماوي : هو نوع من الآت الحرب القديمة .

*نحاز العيّس : مرض يصيب الأبل وقصد منه أنه إذا كان يصف نفسه وقومه كالأبل فقومه هم المرض الذي سيصيبهم بالموت .

رد أبن زحاف كان يحمل التحذير بأن أي خطأ يتم من قبل أبن شعتور سيعرضه لفتنة تعم كافة قبائل أبا النعيم وهم حتما سيرفضون فعلته ويقفون ضده ثم أنتقل للتقليل من خصمه وتذكيره بأن لاقدرة له على الحرب بدون جماعته أبا النعيم فهم من سيقف معه لو أتاه عدوا غازي وأنه متى ماتمنى أن يقتل شخصا من القاسم فستكون العواقب وخيمة .

فرد عليه أبن شعتور قائلا :

واللّه وأنا عمر ماني بسياب(ن) مقطّع وجّـاب *

وأن بيتي مزار الضيف ميعاد(ن) لشرب(ن) ولكلا

ميّر هـذي مقـاديـر(ن) من الخـّلاق لاجابها

وأكمل أبن شعتور قائلا :

لا هيّا من نهار(ن) ينكشف فيه الستر والحجاب

تصبح القوش*عالجدا* وربعي نكل من سد نكلا

عزوتي عبدلي(ن) لا دعاه الريع لاجابها*

*ماني بسياب(ن) مقطّع وجاب : قصد أنه ليس بالمضيع ولا بالبخيل والوجاب جمع وجبه ويقصد بقطعها قطع الرزق ويرمز لذلك مافعلوه بعضهم بالبشران .

*القوش : قصف الرصاص .

*ناكلا سدّ ناكلا : يقال نكل به أي أصابه وقصد هنا أصابة خلف إصابة .

*جابها : من المجابهة .

فرد عليه أبن زحاف قائلا :

قـل لأبن شعـتور عـيـنـه لاتـنـام
أي مـامعـي لـه في الشرهات عـبره
إلا رصـاصـ(ن) وراه الـجـحـدلـي*

ثم أردف بالرد على نفسه قائلا :

والـلـه يـابـعــد هــذي مايـقــوم
أدري يعـدي الجمـل من سمّ الأبره*
والبـس* يشـتال حمل الـجـحـدلـي*

الجحدلي : قصد بها الموت .
سمّ الأبره : قصد بها أستحالة دخول الجمل
من فتحة الأبرة الضيقة والصغيرة .
البس : القط أو الهرة .
الجحدلي : قصد بها هنا الجمل .

وبعد نزاع طويل وجدال طال أمده تدخل أحد الشعراء لحل النزاع الذي لن ينتهي خصوصا وأنه سيطول ويمتد إلى قبيلة بني دهيس الذين يعود القاسم إليهم وبين بني عبدالله والذين يعود أهل حديد إليهم القبيلتين كما أسلفنا يعودون لفخذ أبا النعيم وكان هذا الشاعر يدعى حمود بن عيضة وهو من أهل دار آل عيضة (الحلاة) ويعود إلى قبيلة بني أحمد أحدى قبائل أبا النعيم وكان من الشعراء المشهورين الذين عادة مايفضّون النزاعات بقصائدهم وحكمهم لذا سعى هذا الشاعر للصلح وتلطيف الأجواء وقصد الطرفين في سوق حداد وسألهم إن كان يرضون بجعله حكما لحل المشكلة مابينهما وهو ماوجد الموافقة والرضى من جميع الأطراف فوجه الشاعر أبياته إلى أبن شعتور قائلا :

يا أبن شعتور لاتشري اللوازم من نسوم
الرياح
اللوازم ثلاث اللي لها في البيض حقـ(ن)
ومشرك
وأنشد الخندفي وأنشد شبابة* وأبن فوق
العزاز
الـلـوازم رفـيـق الـجـنّـب والا سـارح م
الـمـراح *
والقطيّر* الذي ناره ترى نارك ونشرك بنشره
والذي ف التهم مايلزمة زاد(ن) صنع فالسراه

بدأ الشاعر كلامه بالقول لأبن شعتور بأن لايتشبث ويطلب قضاء اللزوم مع الهبائب والرياح وأن لايخرج عن العرف المتعارف عليه مابين قبائل العرب ورمز لهم بحلفي خندف وشبابه مذكرا بأنه لايلزم المرء سوى بثلاثة أمور أولها أن يكون القتيل من رفاقه

الموالين أو شخص أستجار به سواء كضيف في داره أو عابرا في طريق حماهم أو يكون من جيرته من أبناء قريته ولكن هنا فلا يحق له المطالبه فالقتل تم في تهامه وليس في السراة والزاد الذي صنع في تهامة لايلزم أهل الحجاز به .

وما أن أنتهى الشاعر من أبياته التي حكم بها حتى صمت أبن شعتور كناية عن موافقته على الحكم بحسبماالتزم به .

*الجدّاء : أحد أودية قبيلة القاسم .

*خندف وشبابة : حلفين قديمين من أحلاف قبائل العرب .

*المّراح : هو مايستراح به ويقصد به القرية وأراضيها

*القطّير : الجار .

الأسواق قديما

أسماؤها - دورها - أهميتها - قوانينها وماقيّل عنها



دوما ماكان يرتبط معنى السوق في أذهان الجميع بعمليتي البيع والشراء فقط إلا أنه لدى العرب القدامى كان ينطوي على معنى أشمل وأكثر من هذا فلقد كانت الأسواق لديهم تنطوي على العديد من الأنشطة منها ما يلي :

التبادل التجاري (المقايضة)* :

يتم فيها تبادلهم بكافة العروض التجارية مثل الأغذية بما فيها من حبوب وخضار وفواكه وثمار وتمور وزبيب وعسل وسمن وبهارات مختلفة مرورًا بالمواشي والأنعام المختلفة وحتى الخيل والوبار والأرانب والقرود (أحيانا) وكذلك الأقمشة والجلود المختلفة وأيضا الصناعات اليدوية والحرفية الخشبية والمعدنية والخزفية كأواني الطعام والشراب وأدوات القتال والزراعة يضاف لما سبق بيع الرقيق أو المقايضة به حيث كان يجتمع التجار في تلك الأسواق بشكل أسبوعي كما كان في

منطقتنا والمناطق المجاورة أو سنويًا كما كان يحدث في الأسواق القديمة مثل سوق عكاظ وكانوا يأتون لرؤية كل ما هو جديد من جميع المناطق القريبة والبعيدة لهذا كانت تعد الأسواق مُلتقى الحضارات تجاريًا.

التبادل الثقافي :

أرتبطت الأسواق بإلقاء الخطب المختلفة من قبل الخطباء وكذلك كان للدعوة فيها نصيب كما حدث مع النبي صلى اللّه عليه وسلم حينما أستغلها للدعوة إلى للّه وإلى وحدانيته وأيضا يقوم فيها الشعراء بطرح أشعارهم سواء مايختص فيها بشعر الحرب أو المدح أو الفخر أو الهجاء أو التهديد أو سرد موقف وقصة ما وبرز الكثير من الخطباء والشعراء والقصائد من خلال هذه الأسواق التي فيها تعتمد شهرة الشاعر على مدى تميز مايلقيه أثناء فترة السوق حيث يلاقي التقدير من المتسوقين

الذين بدورهم يتولون حفظه ونقله لمناطقهم ولغيرها من المناطق كذلك كانت ينطوي نشاطهم الثقافي على التفاخر والتنافر فيما بينهم كما حدث وأسلفنا الحديث عنه من قصة تنافر جرير بن عبدالله وخالد الكلبي في سوق عكاظ وربما قامت حروب بسبب منافرةً قيلت في السوق كما حدث في حرب الفجّار وكذلك ماحدث بعدها بالإسلام في غزوة بني قينقاع*

تبادل المواقف السياسية والفكرية :
من خلال هذه الأسواق كانت تقوم المعاهدات والتحالفات الحربية والأتفاقيات الخاصة فيما بينهم من رسم للحدود والحمى والأراضي مابين القبائل وكذلك التصالح في الحروب والدم وحل النزاعات ودفع الديات .
وقد أبرز الشعر الجاهلي أهمية هذه الأسواق ويكفينا الذكر بأن حربي البسوس وداحس والغبراء وهي من كبرى الحروب القبلية القديمة جرى صلحها في مواسم الأسواق .
وقد أصطلح بكر وشيبان في سوق ذي المجاز ، وتعهدوا بألتزام العهود والمواثيق فقال الحارث بن حلزّة في ذلك :

وأذكروا حلفَ ذي المجاز
قدم فيه العهودُ والكفلاءُ
حَذرَ الجورّ والتعّدي وهلّ
ينقض ما في المهارقِ الأهواءُ

وكذلك أصطلح العبسيون والذبيانيون في سوق عكاظ وتوقفت على أثر ذلك رحى حرب داحس والغبراء وقال زهير بن أبي سلمى في ذلك :

فمن مُبلغ الأحلاف عنى رسالة

وذُبيان هل أقسمتمُ كل مَقّسم

فلا تكتمن اللّهَ ما في نفوسكم

ليخفى ومهما يكتم اللّه يُعلم

المقايضة : أعطاء سلعة عُوضً عن سلعة آخرى .



في الزمن الماضي كانت الأسواق تنبع أهميتها من تجاوزها لعملية البيع والشراء إلى كونها ساحة جامعة للألتقاء والتواصل والتعارف مابين القبائل ومنبرا للشعر والخطابة وطرح الأراء ووسيلة للأخبار ومبادرات الصلح والحرب وعتق الرقاب ولعلنا في هذا المجال نتذكر الأسواق العربية القديمة في الجاهلية .

وقد كانت العرب ماقبل الإسلام تقصد سوق عكاظ ولمدة 20 يوما من أول ذي القعدة يبيعون فيه البضائع ويلقون القصائد إلى يوم 20 من الشهر، ثم تسير إلى سوق مجنة فتقضي فيه الأيام العشر الاواخر من شهر ذي القعدة ثم تسير الوفود إلى سوق ذي المجاز فتقضي فيه الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة ثم تستأنف الوفود طريقها قاصدة الحج في مكة .

كانت الأسواق كما أسلفنا بمثابة منصة أعلامية ومسرحٍ متحرك للحياة تجتمع من خلاله جميع الأطياف ومن كافة القبائل وكان تواجد السوق مصدر ثقل سياسي لكل قبيلة ولهذا ردد أجدادنا المثل القديم الدارج لديهم : (اللي معه سوق وعقبة رجله على كل رقبة) .

تناثرت الأسواق الشعبية الأثرية في بني مالك بجيلة مابين السراة وتهامة ممثلة بأسواق توزعت على أيام الأسبوع مثل سوق الأحد في حداد وسوق الخميس في صيادة (هي ماتبقى حاليا من أسواق السراة) وسوق الربوع بمهوّر وسوق الثلاثاء بالمروة وسوق الثلاثاء بالقاع وسوق ربوع الدارين بعرّدة وسوق ربوع بوا وسوق أثنين الجائزه إضافة لمسرح قصتنا القادم والذي سيتكرر ذكره في أكثر من حادثة قادمة سيتم التطرق إليها هاهنا الا وهو سوق الثلاثاء والذي يعد أحد الأسواق الشهيرة في

قبيلة بني مالك تهامة وتحديدا في وادي أضم وهو تابع لقبائل بني عبدالله من بني حرب من بني مالك وتتمثل هذه القبائل في ثلاثة قبائل في أضم وهي آل حسان وآل عصمان وآل معافى وينطوي تحت جناح هذه القبائل قرى كثيرة ومتعددة تتوزع في تهامة ولهم قرى في السراة مثل"قرية القضاة" وقرى العصّمان في وادي مهور.

ويعد هذا السوق من الأسواق الأثرية ومنذ مئات السنين إذ كانت مقصد لكثير من قبائل بني مالك من بني عمرو أو بني حرب وأبالنعيم وبني علي من السراة إلى تهامة وحتى من خارج بني مالك كان الحضور كثيفا من قبائل عدة مجاورة مثل ثقيف وبني ذبيان وزهران وعمرين ومتعان والاشراف وبني هلال إضافة إلى مناطق البادية المجاورة فكانوا يهبطون إلى هذا السوق الذي كان مصدر جذب تجاري كانت السيولة المالية شبه منعدمة بين الأهالي الذين لا

يملكون الثمن النقدي الذي من خلاله يستطيعون تأمين حاجاتهم ومشترياتهم، فكانت مبيعاتهم تتم بالمقايضة الشرعية، سيما وأن ممتلكاتهم كانت محصورة في ثرواتهم الحيوانية من الأنعام والأغنام والمحاصيل الزراعية وما عدا ذلك من الحاجات والبضائع؛ فهي تدور بينهم من غير غبّن أو ربا أو نجش، وعليه فقد ساهمت المقايضة بقلة وندرة السيولة المالية والنقدية في أيديهم .. وكانت عملية البيع والشراء يحكمها الأمانة والصدق وأحترام الكلمة وفي حال لم يجد أحدهم مايمكن أن يقايض به أو يدفعه كنقد فإنه يمكن أن يستعين بأحد الأشخاص المعروفين بالسوق ككفيل مالي وأحيانا وهو أمرا قد يستغربه البعض منكم في حالة عدم إيجاد المشتري لمن يعرفه ويضمنه فإنه يجعل سمعته وشرفه على الميزان كضمينة له وبمثابة (ضامن مالي)

ويتم هذا الشيء من خلال نتف شعرة من لحيته
وتسليمها لصاحب السلعة على أن يعطيه وقت
محدد للوفاء بدينه وهو مايتم عادة
فأن صاحب السلعة يعيد إليه شعرة
ذقنه التي جعلها كضمان .
ولعل البّاحث في تاريخ التجارة والاقتصاد وحركة القوافل القديمة في الجزيرة العربية قبل أكثر من قرن سيقف على صيغ أخرى من التعاملات المالية الشرعية، وعدد من العملات النقدية القديمة كان يأتي مايسمى بالريال الفرنسي في مقدمتها إذ كان العملة السائدة أيامها والأكثر رواجا وأنتشارا وبالذات في مناطق الحجاز ووسط وجنوب وشمال الجزيرة العربية

وقد أستمر التعامل بهذا الريال قائما حتى وقت قريب بدأ بالتلاشي مع أصدر

الملك عبدالعزيز -رحمه اللّه- أول نظام للنقد في المملكة وتم معه سك الريال العربي السعودي من الفضة الخالصة عام 1928م.

كان الريال الفرنسي العملة السائدة وقتها واصطلح الناس على تسميته بهذا الاسم رغم كونه دولار وليس ريال، ومصدره النمسا، وليس فرنسا، وكانت الإمبراطورة النمساوية الشهيرة «ماري تريزا» (1717-1780) هي من أمرت بسكّه؛ ويحمل هذا الدولار أسمها وصورتها، وكان ذلك بعد أن أجتهدت هذه الإمبراطورة لتسوية الخلافات بين بلدها وفرنسا قبل الثورة الفرنسية التي أطاحت بأسرة «آل بوربون» في فرنسا، وقضت على الإمبراطور لويس السادس عشر وزوجته ماري «أنطوانيت» أبنة الإمبراطورة النمساوية ماري تريزا

ليجد بعدها هذا الدولار رواجا في الأسواق العالمية لأصالته ومتانة ونقاء معدنه الذي كان من الفضة وجودة سكه؛ حتى شاع وانتشر بعد هذه الأحداث في السوق الأوروبية والعربية .



التالّر النمساوي
(دولار ماريا تريزا)

وكانت تعّد الأسواق بجانب ذلك كله مجلس أعلامي نشط ومتجدد لتبادل الاشعار والأخبار والخطب بل والتنافس فيما بينهم شعريا

ومما يجّدر ذكره أن بدايات معظم شعراء بني مالك القدامى أنطلقت من هذه الأسواق وكمثال كانت بدايات الشاعر الكبير أحمد بن محمد بن زربان الملقب (حوقان) رحمه اللّه تعالى من خلال سوق الثلاثاء في أضّم ورغم كونه من أهل الحجاز إلا أنه نزل لهذا السوق قبل مايقارب خمسة وثمانين عاما مضت وكان عمره حينها يقارب 15 عاما وأبتدع قائلا :

ياسلامي على سوق(ن) بني ع الوفا والعازمان
دونه اللّه وقوم(ن) مستعدين حيان الرفاقه
مثل نو(ن) على المصياف إلى عد بعد الدمس ماه
أهل صفر الميازر والعطف والجنابا المحسنية
يكسب المدح والناموس في كل ريع منصبات

ينصبون المحاجي حزة الحرب الى صرو رجاله
قل سباعـ(ن) في المشرق لها عـالفروق مرابعة
والذي خايف من الناس إلى حل في جالك
بيامن
بـيـن حـيـان مـافـيـهـم ذلـيـد(ن) يـذل ولا
بـلاش
لصبح القلت نوضه مثل برقـ(ن) سـرى يـلمـع
سـريه
كـل قـرنـ(ن) صـلـيـبـ(ن) لـو تـلـقـاه يـصـدر
بـاطلي

ثم عاد ورد على نفسه قائلا :

واللّه إنـي افتــكر فـي هـجرتي كلما جـانـا
زمان
قلت هـذا زمـان الـخيـر وبـعـد يـجي رده
وفـاقــه

زادنا بالغلا والشر والقطر كفه من
سماه
والثرى باح من طيب العقل والبلاد
المحسنيه
والحيا باح وثنه من عروض الجبال
المصعبات
والسعر غاليـ(ن) فالسوق ما ينفع الواحد
رياله
بعد أسلُّم ريالي في ربيع استردوا
رابعه
وصدرنا نحّسّب في حساب الروابع
والثوامن
كسبتهم وأنا عودت محشور من مالي
بلاش
والذي مالعرب صداق ولا شكى من
معسريّه
لو بدا له من الحق درب ردوه يصدر
باطلي

وهو الأمر نفسه الذي حدث مع الشاعر الكبير عيضة بن طوير (رحمه اللّه تعالى) في سوق الأربعاء في بلاد ثقيف فلقد كانت بدايته بالشعر خارج إطار عائلته الشعرية قد تم وهو صغير سن وكانت بصحبة الشاعر سعد بن مرعي الحارثي رحمهم اللّه تعالى جميعا والذي بدوره حضر بلاد ثقيف للتسوق وإلا فهو في طبيعة الحال كان جارا لقبيلة الجهالين من بني عمرو من بني مالك .

وعن تلك البداية تحدث شاعرنا الكبير رحمه اللّه تعالى قائلا : طلعت من الأصدار* أًحمل معي بعض السمن والبعيثران بقصد بيعه في ذلك السوق وعندما وصلت إلى أعلى الصدر وإذا أنا برجل معه حلال يرعاه ويحمل بيده شونا (عصا غليظة) .

وإذا بقوم متجهون نحو السوق من بني ذبيان ربما يزيد عددهم عن المائة رجل مقبلين على ثقيف بالبنادق والعرضة ..

يقول أنا لا أعرف الرجل وهو كذلك إذ يكبرني سنا بكثير ولكن عندما شاهدنا تلك الجموع إتجهنا إليهم سويا فرفع سعد بن مرعي شونه عاليا أمامهم وقال مبتدعا /

ياسلام اللّه عليكم شرحة الملعب رزف رزف
وإن قلبي ما يلام الشين وي زين الخبر باروده
وبني ذبيان وسط السوق بتشوق برزفها
لو تدم الأرض وأسو صخرها من فوق سهلها

يقول أبن طوير فطلبت منه أن يعلّ القصيدة بمعنى يعيدها فنظر إلي وسألني قائلا .. أنت شاعر..؟ فقلت له باحاول إن أستطعت

ورديت عليه قائلا :

إنحن نشّبه لرعد البحر لاجانا بزفرزف
يوم نبصر كتّه البرق ومشفوعا على بارودة
كسرّوا به روس الأعدا والذي قبله برزفها
والقرون القاسية يامن تمقل من قسى اهلها

*الأصدار : يطلق عليها أيضا الأسدار لدى أهل السراة ومفردها (سدّر) وهي سفوح الجبال الفاصلة مابين تهامة والسراة .

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة

وأيضا نذكر من نوادر شعرائنا القدامى ما أبتدعه الشاعر القديم علوش بن صالح العبدلي (رحمه اللّه تعالى) وهو من أباالنعيم من (وادي حديد) ومما روي عنه أنه في بداياته وهو بالمناسبة مصنّف ضمن نخبة شعراء جيلة ولم يكتب لموهبته أن تستمر طويلا فقد فارق الحياة رحمه اللّه تعالى في ريّعان شبابه وقد قيل أنه لو أستمر لنافس أبناء جيله من فطاحلة الشعراء وربما تفوق عليهم .

وهنا نتطرق لماذكره عن سوق الأربعاء الكائن في وادي مهوّر والذي تقطنه قبائل بني حرب بحضور شيخ قبائل بني حرب (حينها)
الشيخ / عبداللّه بن جارالنبي رحمه اللّه تعالى وجماعته فقال /

ياسلامي على سوقـ(ن) رسم وسط مهور من قديم

رزّ في هيّبة الحكام وأهله بني حرب العناصي

وإن تعزوو في الملّك ليظهر لهم حظـ(ن) علي

حدّنا م اليمن من نقب الأغبر وفي الجردا رسمنا

ومن البحر من ملك الهلالي ومن وادي حظا

ومن الشام من ترعة وبيحان ياجاهل تعلم

ومن الشرق من كِنثى وريع الحمّه وإحمى قريش

وأحتمينا الطوارف قبل ياجي الحكم ف الجاهليه

ماتقرّ السماء والأرض حتى يطاها المالكي



صورة قديمة لقبيلة بني حرب أحدى قبائل بني مالك الحجاز العريقة في إحدى المناسبات تحديدا عام 1377 هـ يتقدمهم الشيخ عبدالله بن جارالنبي (شيخ شمل قبائل بني حرب حينها) تغمد اللّه الجميع في واسع ومستقر رحمته .

من أرشيف الصديق الأستاذ / غرم الله بن مسفر

وهو نفس الأمر أيضا الذي حدث قبل أبن طوير وحوقان وعلوش رحمهم اللّه تعالى بزمن مع الشاعر الشهير عايش بن غُبيّه المفضلي الحربي المالكي (رحمه اللّه تعالى) وهو لمن لايعرفه صاحب كاريزما تنسج لأجلها الأساطير والقصص والحوادث في تخوم تهامة والسراة في فترة ماقبل توحيد المملكة .

وقد ذكر في إحدى قصائده معتزا بسوقهم الإثنين في تهامة بني مالك وأرتقى يومها بجسده وصوته الجهوري مابين المتسوقين من كافة القبائل كتهديدا لمن يحاول تقويض السوق أو قطع طريق القادمين إليه فقال :

ياسلام اللّه على السوق الذي مضمون كل دور
وأن ذبح في سبله القفّال يبشر بالنقا من دوره
مايخـليـها لـراس الـدور تـغـدي لـه مـداوره
عـزك الـخـلاق يالاثنين يـاعـز الـبـنـادري

ورد الشاعر على نفسه قائلا ؛

رحّب بالثلاب والقيف الذي دار البصاير دور

من تمنى رشقنا في الريّع يغدي له صداع ودوره

وأن تمهلنا عليه اليوم فالمدى وراه

وأن لولا فعلنا في الناس ماحيـ(ن) بنا دري

قصيدة الشاعر أبوحماطة

في سوق حدّاد



يُعّد سوق حداد من أقدم الأسواق الأثرية في المملكة ويمتد تاريخه إلى زمن قديم وحتى وقت قريب كان يضفي عليه القادمون من القبائل البعيدة مسمى (سوق بجيلة) ويقع هذا السوق الذي عادة ماتتوافد عليه القبائل كل يوم أحد في مركز حداد الذي يتبع لقبائل أباالنعيم ويتواجد به عددا من أقدم المراكز الحكومية وفيه تمركزت أول قوة أرسلت من قبل الملك عبدالعزيز في بني مالك حيث كانت لهم دارا حكومية تعمل على أستتباب الأمور وجمع الزكوات من أهل المنطقة ولعل هذا السوق ترتبط به الكثير من الحوادث لعل منها حادثة تاريخية في المنطقة بدأت شرارة أحداثها مابعد إلقاء الشيخ عبداللّه بن مسفر (أبن فاضل) رحمه اللّه تعالى لخطبته في سوق حداد وركز من خلالها على أيضاح أمرين تلخص أمر زيارته للملك

عبدالعزيز والتقائه به الا وهي الأستثناء بالتصريح لبني مالك بحمل البنادق والأسلحة لصّد هجوم السباع التي كانت تفترس الماشية وكانت مصدر إزعاج لهم (كان حمل الأسلحة أيامها محظورا بشكل علني على جميع القبائل) والأمر الأخر كان أستثناءه لقبيلة بني مالك في تلك السنة من دفع الزكاة بعد شرحه وهو الأمر الذي لم يلاقي القبول في نفوس الطوارف (المنتدبين من قبل الحكومة السعودية) وفي مقدمتهم أميرهم علي العايد الشمري الذين هدد أبن فاضل بالسجن في حالة عدم التزامه بسداد الزكاة المتأخرة عن قومه*

غضب أبن فاضل من تهديد أبن عايد الذي رأى أنه لايليق بمكانة شيخ مثله أضف إليها عدم توافق تهديده مع الأوامر التي تلقاها من

الملك عبدالعزيز (رحمه اللّه تعالى) فأخذ بالرد عليهم بإزدراء وأنفه وعلى إثر ذلك وأثناء خروج الشيخ أبن فاضل نزولا من سوق حداد بصحبة مجموعة من مرافقيه كان من بينهم أبنه الأكبر ورفيقه الدائم مسفر وفي أثناء مرورهم بالقرب من قرية الحميّان أحد قرى أباالنعيم القريبة من السوق أتاهم وابلً من الطلقات النارية قتل على إثره أبنه مسفر وأصيب أبن فاضل هو وأحد مرافقية وتم نقلهم بعدها إلى وادي مهور (منطقة نفوذ أبن فاضل) ولعل من الجدير بالذكر أن أبن فاضل كان حينها شيخ شمل بني حرب وكان مقربا للغاية من الملك عبدالعزيز الذي كان معجبا بفصاحته وفراسته وجمال هيئته وطيب خصاله مما دعاه لإهدائه خيلين من الخيول العربية الأصيلة وبجانبها صرة من الجنيهات الذهبية إضافة لذلك ولما له من صيتّ

وسمعة كبيرة بين قبائل العرب تدخل الملك عبدالعزيز للوساطة في خطبة أبنة أبن فاضل لأحد أبناء عبدالعزيز بن إبراهيم والذي يعدّ من المقربين لديه وكان أمير الطائف أيامها .

*هذا الحديث أكدتة زوجة أبن فاضل (عيّده) وحكته لوالدتي (قبل وفاتها) رحمها اللّه تعالى في معرض حديث ذكرته أنها بعد مقتل زوجها ذهبت إلى الملك عبدالعزيز وطلبت منه أن أن يفسخ خطبة أبنتها (محسنة) وهو مافعله ثم سألها إن كان لها طلب آخر ولكنها رفضت أن تطلبه فأرسل معها مجموعة من الهدايا وأرسل كذلك معها عددا من الرجال لحمايتها حتى وصولها ديارها .

حين علم الشاعر الكبير عايش بن غبيّه عن قدوم الشيخ عبداللّه بن مسفر (أبن فاضل) ذهب إليه في السراة في وادي مهور مستقبلا ومرحبا بعدة أبيات قال فيها :

مرحبا ياشيخنا اللي تاعنا بهدية السلطان

وجنيهات الذهب وزاده أبن سعود مكسى الدوله

وشيوخ الناس ماأعطاهم حمير(ن)ولا مجايده

إن جدك كان شيخ أجدادنا وأبوك شيخ أبوتنا

وأنت حاربنا بقوفك لين رديناك أميرنا

توالت الأحداث وتطورت في بني حربّ بعد ذلك مع تصاعد الأصوات المطالبة بالثأر وأتته قبائل عديدة من بني حرب مناصرة كان من بينهم بني عبداللّه من تهامة بني حرب (أهل أضمّ) بقيادة الشيخ أبن عتقان وهو من العصمان وأيضا قدم إليه بني ثابت (أهل الجائزة) بتهامة بني مالك الذين هبّوا لنصرته وهم يطالبون بالثأر ويرددون بصوتً هادر مع عرضة الحرب :

ياأبن فاضل جوك ثابتين
والـلـه مـاجـنـبـيـك عارية
المسابت والحـزاب الزين
والـمـعــابـر كـالـنـعـاريـة

وعلى إثر الضغط الذي موّرس على أبن فاضل من قبّل مناصريه لحثه على الإنتقام من الطوارف بقتلهم كان هناك أصوات مقربة منه دعته لعدم قتلهم ولكن ضاعت أصواتهم مع الهدير الجامّح المطالب بالثأر والذي أستطاع في النهاية من قتل المناديب وفي مقدمتهم علي العايد وهو الأمر الذي أثار غضب الملك عبدالعزيز حينها وجعله يرسل جيشً يتكون من ثلاثة الاف مقاتل وأنضم مثل هذا العدد أيضا من بعض القبائل الموالية الآخرى وتولى أمرة هذا الجيش عبدالرحمن بن سعود التويم وتحت قيادته إبراهيم النشمي ومحمد بن سحمي القحطاني وأيضا سلطان بن بجاد أبن حميد الذي قدم بعددا يتجاوز الألف من قومه أهالي (هجرة الغطغط) وبعد عددا من المعارك والأحداث مابين جيش الملك عبدالعزيز وجيش أبن فاضل الذي تألف من بعض جماعته من بني حرب (قصص لايتسع المجال لذكرها)

وأنتهى الأمر بمقتل أبن فاضل ورفاقة وأخماد إنتفاضتهم وحرق منازلهم وأنتشى أحد شعراء البادية وهو يذكر ذلك قائلا :

ليت عينك تخايّل ياعلي العايد
وتنتظر في شجر مهور وبيبانها

ولعل مالا يعلمه البعض أن بني ثابت من تهامة بني حرب وكان عددهم كبيرا حينما قدموا لنصرة أبن فاضل وكان من الممكن أن يكون لهم دورا في ترجيح كفة جيش أبن فاضل أتتهم الأخبار بأن الأمير فيصل بن عبدالعزيز قد قدم بجيشٍ كبير لغزو الجائزة فأستأذنوا أبن فاضل للذهاب وحماية أراضيهم في تهامة وبالتالي فقد نشبت معارك في السراة وتهامة في آن واحد قتل على إثرها المئات من مناصري أبن فاضل من قبيلة بني حرب وتشرد الألاف كثيرا منهم ليس لهم صلّة بالحرب ومما يؤكده بعض المعاصرّين لتلك الأحداث أن نهاية أبن

فاضل كانت مأساوية فحينما تمت محاصرته مع رفاقه القلّة الباقين وكان من بينهم أبنه الأصغر علي وعمره حينها في الرابعة عشر وكان يمتطي فرسه والذي التفت إليه قائد المجموعة وهو موجها حديثه لأبن فاضل بصوت جهوري : عايّن ولدك ياأبن فاضل ..!!
فلما التفت أبن فاضل وجه قائدهم رصاصة قاتلة لذلك الفتى الغضّ والذي سقط من على متن فرسه وأخذ يتخبط في دمائه قتيلا ولعل هذه من الأمور التي جعلت أبن فاضل يتذوق الموت على جرعات ولم يتبق سوى الجسد الذي تم صلّبه على إحدى الأشجار في قريته لمدة من الوقت .
ولعلي بذكر القصة (قصدت أن تكون على عجالة مختصرة قدر الإمكان وإلا فإن وقائعها أطول بكثير مما ذكر) قصّدت من خلالها ذكر أهم الأحداث التي بدأت شرارتها من هذا السوق العتيق بعتق الزمان .

*كانت هناك زكاة حكومية على الأموال والماشية والمنتوجات الزراعية وأيضا كان هناك زكاة على الأفراد يسميها البعض جهاد تجاوزا (وهي نوع من الإتاوة) كانت تفرض على الشخص الواحد بما مقداره (ريالين فرانسي) وكان لهذه الزكاة جباتها ففي تهامة كان يقوم بها مندوب للملك عبدالعزيز يسمى حمزة بن عقاب الفعّر وفي السراة كان علي العايد والذي كان لعدم معرفته بالمناطق والديار والقرى في السراة ينيب عنه حبيش المزّكّي (أبومسفر) رحمهم اللّه جميعا علما بأن حبيش ينتمي لأبا النعيم وكانت تربطه بعبداللّه أبن فاضل صلّة صداقة قوية دعته إلى أن يسمي أبنه الأكبر (مسفر) بأسم مسفر بكّرّ أبن فاضل (المغدور) وقد سجنه أبن فاضل مع هذه الفتنة وكاد أن يقتله لولا أن عدّل عن ذلك في اللحظات الأخيرة وأطلق سراحه .



بعض الحوانيت العّتيقة والمتبقية
من سوق حداد القديم

أشرت سابقا بذكر أن سوق حداد يقف خلفه قبيلة أبا النعيم والتي تتكوّن من أربعة من البطون وهي قبيلة بني عبدالله وقبيلة بني أحمد وقبيلة بني دهيس وقبيلة قريش ولكن حدث في أحد الأزمنة السابقة أن نشّب خلافا مابين قبيلتي بني أحمد وبني عبدالله وبرغم تدخل الوجهاء والمصلحين أو من تعارف على تسميتهم (المستحين) إلا أن الخلاف بينهم لم يجد الحل الفاصل وهو الشيء الذي آلم أحد شعراء أبا النعيم الكبار ويكنى (أبوحماطة) وكان ممن أشتهروا بجانب قوة أشعارهم بقدرتهم على الفصل في المنازعات والخصومات وأبوحماطه لقب للشاعر مسيفر بن حسن القرشي المالكي (رحمه اللّه تعالى) وينتسب إلى قبيلة قريش وهي إحدى قبائل أبا النعيم .

في يوم من الأيام قصد أبوحماطة سوق حدّاد وكان وقتها يضجّ بأصوات الباعة والمشترين القادمين من جميع القبائل سواء من قبائل بني مالك أو من القبائل المجاورة وحتى البعيدة وسرعان ماأشار الشاعر أبوحماطة بيده للجميع مطالبا إياهم بالصمت والإنصات لما سيقوله وبعد السلام القى قصيدة أستهلها بتحية السوق وأهله وحاضريه ممتدحا تاريخه وقدوم القوافل إليه منذ القدم حتى من المناطق البعيدة وعاد في حديثه ليؤكد أن لهذا السوق قوانينه الصّارمة التي سيجد من ينتهكها أمامه (المزرفل)* وهو نوع من البنادق القديمة التي يحدث رصاصها الثائر الآثر القاتل فيمن تصيبه .

ثم أنتهج الترميز في قصيدته حينما أشار إلى أن لديه أبنين عانى من مشاكلهما التي بدأت بداية بالتحدي وأستعراض القدرات فيما بينهما حتى وصل الأمر للعراك والشجار الدامي ثم وجه الخطاب للعقلاء من قومه مطالبا إياهم بسرعة التدخل لحل الخلاف العالق مابين الطرفين .

البدع

حي سوق والقوافل تهبطه من سدّ بن رشيد
من تمنى في سبوله مالعرب لابد يقضم صبّا
دونه اللي عالشيم لازم تثنى كل جاحده
أهل الشيمات والقالات ولباس(ن) على جنبيه
من تمنى شرهم قلبه حزين(ن) والتلاف تون
حزبنا صنع المزرفل لا بدينا عالعرب بدواني
له رصاص يشتعل والبطن قبل الصفر شرّخوه

ثم عاد للرد بنفس الشقّر قائلا :

أي معي ولدين وسط البيت مافيهم ولا رشيد

الصغيّر قال أناياخي صبي وأنته صبي وأنا أصبا

قـال وش هذا الصباوه كيف ذا تزداد واحده

وترامـوا بالـحصى وإلا فواحد ردّ عالجنبيه

أفرعوا مابينهم يا أهـل الحميّـه لا تلافتون

قلت خلوا شرّكم عليّ كذا وإلّا على البدواني

وإلاّ كلـ(ن) من عيالي ما تعبأ إلاّ لشر أخوه

كان من ضمن حاضري السوق عددا من أبناء القبيلتين والذين أستحسنوا ماأبداه الشاعر من طيب مشاعر ولما فيها من صدق دعوة للصلح وبالفعل تم الصلح مابين القبيلتين يومها وعادت الأمور إلى مجاريها .

المزرفل : بندقية قديمة يسميها البعض أم زرفال ولعل ذكرها يبعث في النفس تذكر حادثة قديمة حدثت في أحدى قرى بني مالك في زمن ماقبل الدولة السعودية ويومها أغار ثلاثة من لصوص بادية إحدى القبائل على هذه القرية قاصدين ثورا كان يستعمل للمساعدة بجلب الماء من إحدى الأبار ولكن شاهدتهم إحدى جواري القرية وسرعان ماأستنجدت بأهل القرية الذين سرعان ماأطلقوا النار على اللصوص فقتل أثنين على الفور وأصيب الثالث بطلق ناري وسرعان ماربطوه بجذع أحتملوه فيما بينهم وهو جريح ينزف قاصدين به إحدى دور القرية لمداواته وفي أثناء حملهم له أخذ بالنشيد قائلا :

ياسلامي على من زرّب الديره

بـالـهنـادى وميّـري وأم زرفـالي

جيت أبفتك ثوره من على بيره

وأهل ذيك المزايا شيّنوا فالي

قضيّة البندقة

مابين قبيلتي بني عفيف والمعاليّة



تعد قضية البندقة من الأحداث القديمة التي لازالت عالقة في أذهان العديد من المسنين في تهامة والذين سمعوا عنها ولم يدركوها وكيف تنسى وهي كاد أن يحصل بسببها حرب بين قبيلتين من أجل بندقية (تسمى بندقّة من قبل أهل المنطقة) وتبدأ الحكاية في نزوح شخص يسمى جبري بن سعد الجاملي من قبيلة آل جامله من بني مالك وحلوله جارا نازل لدى أحدى القبائل العزيزة المجاورة وهي قبيلة المعاليّة من قبائل عُمر وفي ذات مرة وبينما هو يرعى بأغنامه مع بعض رعاة المعالية أفتقد بندقيته وأخذ يبحث عنها دون جدوى وأخذ يسأل من حوله من الرعيّان عنها فأجابوه جميعهم بأن لاعلم لهم بأختفائها مما أثار غضبه وأتهمهم جميعا بسرقته مما أثار حفيظتهم فتهمة السرقة مابين القبائل تعتبر من الأمور المخلة بالشرف التي قد تلتصق بأهلها وتلحق بهم العار أبد

الدهر فكيف إذا كانت السرقة لجار لديهم أحتمى بحماهم وحينها واجهوه أن الخطأ هو من يتحمله بأنشغاله عنها وإذا كان لديه مايثبت السرقة على أحدا من مرافقيه فليظهره .

فما كان منه إلا أن أنسحب وغادرهم غاضبا ومتجها إلى الشاعر الكبير الشاعر حنش بن عايض المالكي (رحمه اللّه تعالى) والذي عرف بجانب قوة شعره بالحكمة والسعي بالإصلاح مابين القبائل وحكى له ماحدث الأمر الذي أغضبه معتبرا أن ماحدث كان مخلٍ ولايمثل عادات وتقاليد القبائل فالسرقة عمل مشين ومعيب فكيف إذا ماتم فعله مع جارٍ لهم وبالتالي فقد عزم أن لايصمت .

وسرعان ماأرسل مندوب يحمل قصيدة موجهة إلى قبيلة المعالية قال فيها :

يانديبي فوق طيارة تولم والعجل بها
لا لها مسحب ولا جره ولا ممسى ولا مقيالي
مستقلة عند عين الشمس والسايق يسوقها
والذي سد البحر وأهل اليمن والشام والشرقيه
كل واحد ينتظر فيها ولا يغوى طريقها
خذ معك ثوبين وانص (العُمَري) يختار منها واحد
والذي يختار منها علموا به كل مالكي
قوف مانقصر وجوب أهل المذاهب حيهم والفاني
واجب انا نكسي الديره مناشرها ودورها
واعلم العقال والجهال واول ماتعلم سافر
بعد تضوي حلّته يستلحق ارواس (المعاليه)
قلّهم وش رايكم في جاركم مسروق وسط الحله

وامتدحتم بالنقى وارضيتكم بايمان
الاثنعش
ان حلفتم جازمة والا حلفنا بعدكم جزميّه
اني داعيكم بدعوى صدق باديها وغيبها
ثم عقبتم علينا بالكتب يوم ادعى به
جبري
مانشيله لو تقطع روسنا من غير ثابته
لو يجينا مثل هذي الدعوه اللي جت علينا
منكم
مايجملنا منه غير النقى والا يسبنا
وانشدوا غامد مع زهران والثقفان واهل
المذهب
وانشدوا دعوى عتيبه والقبايل عن سلومها
يوم جيناكم وقلنا كيف علم الجار يسرق
جاره
وان هذي ماتجي بيني وبينك ياحديدنا
أول الدعوى معك في بندقه من غير دم
الراعي

خل دم الراعي اللي شافه الصاحب والاجنبي
مامعي في كل دعوى شاهدين الا من اهل
الديره
ان لقينا ثابته والا نغيرها بغيرها
ان نقيتوا مرحبا وان مانقيتوا خيرة اللّه
خيره
فان هذي طايحه والطايحه يعيى مشيلها
واي نحن عمّرين ياجاهل وياللي مادرى بنا
كل قريه من قرايانا على الحدان قربناها
والمزارع والمناشر مستظله في حصونها
احتمينا من ورى شوقب ومن سد القواري
وانصح
والحمه والملح واسفل كيد والنقلان والطرف
والسلف ولقان وامخضور والسدين والمحاله
وقرى عمدين سوينا عليها صور متّصي
واحتمينا ريع الاحرج والطبيقه والفراع
القصيا

والعقاله والوقيعه حدنا يبدي على السلام
أحتماها اللّه وصبيانا على صف العدو ورّاده
ولدنا ماينـدرق والموت قبله والمحاسبين
كان قيسه لاذبح في الريع يحسب دونه اربعه

الاوله سلام مني
من هيض جنيه وجني
واجي بها من كل فني
وأعدي على خصمي وأثني
عبيت لك هيد(ن) وبني
وبندقا من كل سنّي
والزير قدامك يحني
والجلب عبينا سمانه
وأهل النقا يستاهلونه

وما لبثت أن وصلت هذه القصيدة إلى المعالية حتى أتى الرد من الشاعر الكبير شاطر بن حجيج المعلوي (رحمه اللّه) وأرسل إلى حنش المطاعي قصيدة ضمنّها رده كشاعرا للقبيلة وأحد وجهائها قال فيها :

ياانديبي مد رجلك في طريقك والعجل بها
أو تودا ابني عمر حتى وتسمع في الكلام أقيالي
لا يسبونا بسبة ما طلعنا في وسوقها
وينحن دعوى عمر خصا منا ماله من الشر قية
والحلوق إللي تشاجرنا بها ينغط ريقها
خصمنا زاد الرصاص وبعد وقعه في الجسم يهوى حد
جدنا في المدح والناموس والقالات مالكي

وأنت لا تظلم ترى جار الخلاً ما هو لنا
ولفاني
ونجوم العرش ما تعرف منازلها ودورها
إنت نزال الخلا وقفا بك اللي في الديار
أمسافر
وانا أعلم لك ولكن معتمي ما تسمعا ليه
وأنت جبت المشكل اللي لا هيا يا جيك منا
حله
غير في الموضوع أفكر ما نبي نبني على
وعش
أنته منته جار حلتنا وهذا الدعوة
المسمية
و الظليمه عيب منكم ياحديدي تلتغي بها
ما سرقنا جارنا والجدر مايثبت بدون أحجاره
وحديد الناس وقت الضيق ما يأكل
حديدنا

ونحن دعوى عمر والمذهب الغالـي لنـا
يُومنـا
ولوازمنـا تعـدي يـوم يقصـر كـل لازمـة
لا تضيّـع مالكم وبعـد تكلفنـي غـرام
المُذهـب
تهمتك ما حقت إلا فـي عِصـاف إبليـس
لومها
قلت ثبتها و يضويـك النقـا من شيخنـا
والجبـري
ونـت مـا تقصـر لسانـك والثوابـت منـك ميتـه
عندنا لك خمس في المذهب وقول الحق لنا
فالراعـي
وثياب البيض نلبسها على روس(ن) ولجنـبـي
أثبت الجيرة وثبت الدن بعـد وأثني لكم
تقديره
والمقمع ثبتـوه وروس ربـعـي مـا بغيريـهـا

ونت قصيت الخبر لكن قلبك ما عرف تأخيره

والذي ضيع سلاحه فشلته قيسه فشيلها

وينحن عمرين ماندري عميد(ن) ما درى بنا

عندنا لك خمس في المذهب وهات الخمس قربناها

وقلوب أهل العقل تبقى حصينة في حصونها

لا تسبونا بسبه بايهه ونهى عليكم وأنصح

ما سرقنا جارنا ونحن رجال المدح والشرف

واللي يتهمنا بسرقة جار يافيدك بعلمه حاله

والصبي في ما قفه يخبرك عن ميقافه الصبي

يا حنش لا تبهتنا بالظلايم والدعاوي القصيا

من يسبونا بسبـة من شقانـا مالهم سلام
ما نبي نعطيك يا عمري منـاوي خاطرك
والراده
ثبت اللي تدعي بـه والنقا بعد المحاسبين
أذل قــيــلــك مـايـمــتّــي
بعد الـرسايل منـك جـتّـي
وذا الـظـلـيـمـه لـوثـتّــي
وهـجـرتـي لـــو كلّـفـنـي
أوثّــق الــســامــه و أبــتّــي
وأهـــل الـعـقـول الـوســنـي
والـحـــج تـعــرف موسمانـه
يـاعـاقـد(ن) وسّــاه لــونــه

ودخل أحد شيوخ المعالية يومها وهو الشيخ سافر بن مسفر المعلوي (رحمه اللّه) ليفصل في هذا الأمر موجها قصيدة إلى قبيلة آل جاملة من بني عفيف من بني مالك يوضح من خلالها عظم منزلة الجيرة لديهم وأن ماحدث لايمثلهم وأنه بأستطاعتهم تعويض جبري ببندقية آخرى لولا خشيتهم من أعتقاد الآخرين بأنها بمثابة عوض وغرامة وبالتالي فهو أعتراف ضمني بسرقة البندقية وقال في قصيدته :

يا سلام اللّه عليكم يا رياجيل آل جامله
تاعكم سافر بسُبل الجار و إلا الضيف إذا أمسى وأصبح
سُبل عاني ضمه المحزور ماهو سُبل خارجي
يا حداده واللّه ما ألهانا تهيوان في وجوهنا
إلا نتعيا ونعيا ذا المهمة كيف نقول بها
إن بغينا نختسر للجار ما هو سدّ باب وضبة

وإن بغينا نجحد العاني فجبري في قطارنا
قلت يا ربعي الحمية ودنا ننقا ببندقة
قالوا أبشر ما هلا سدّ الشفا نقّاده
تبتقول الناس أخذناها وذا ملا غرامها
واللّه أيمان تحوق أول وتاليها
ما أعرف البندقة واللي لزم فيها
لك عصاة ترد من حيث تغديها
وإن بغيت القبس ننزي معك فيها
وإن بغيت الذي جو يحلفون فيها
وإن بغيت الجميل والقالة نشريها
نشري البيض إذا فكوا مطاويها
و أبمجد لكم في أسبال زهران

ويبدوا أن هذا الأمر لم يجد صداه لدى أبناء قبيلة آل جاملة الذين وقفوا مع أبنهم ورفضوا ماتم قوله فاليمين صدرت من قبل شيخ المعالية وهو غير معني ولم يطوله الأتهام لذا

أنتخبوا وفدا يمثلهم للذهاب إلى قبيلة المعاليه من عمر كان من ضمنهم الشاعر الكبير محمد بن مستور الجاملي (رحمه اللّه) وكان شاعرا يمتلك الكثير من الحكمه والقدرة على تدبير الأمور برغم تقدمه في العمر في الوقت الذي أستقبلهم قبيلة المعاليه وأحسّنوا الأستقبال وكان في مقدمتهم الشاعر الكبير شاطر بن حجيج المعلوي (رحمه اللّه) والذي كان برغم كونه حينها في مقتبل العمر إلا أنه كان ندا قويا لأبن مستور لذا وبعد أن أكرم المعاليه ضيوفهم وقاموا بواجبهم طلب منهم أحد وجهاء آل جاملة أن يقيموا الأحتفال الشعري مخبرا إياهم بأن لديهم شاعرا يعّد بمثابة لسان للقبيلة وهو الشيء الذي لاقى القبول لدى المعاليه وشرعوا في إعداده .

فتقدّم بن مستور من بني مالك وتقدّم شاطر من عُمر في ليلة كان فيها للشعر كلمته وجماله وفصله للأمور فكان البدع من قبل أبن مستور الذي قال :

سـلام ياللـي ماتـهـاب الـكـبـيـره
تـحـسب على الـدوار وفالك الـليّـه
ياولدي جيتك من أرضـ(ن) مسيره
وجيت ذا المحضار ودي بمحليـه

فرد عليه شاطر المعلوي :

أهلين يامن يدعي له بجيره
لا هو معي فالدار ولا حواليه
إن كان تدعينا بذيك الحزيره
ما جدها عمَار أهي هلاليه

فقال بن مستور :

ياولدي مالك بيضيقي سريره
أهي بتغدِ أجرار وفتنه مذريه

أوعدتنا في نهبه قبل النديره
وبصَر القفار طريق ماليه

رد شاطر :
ياعود مبغى لك نقاء والكسيره
عندي لك المعذار وأيمان جزميه
بعد أحتليت أهل القتّه والجحيره*
إن بان لك مسمار الحكمه مثنيه

فقال أبن مستور :
ياشاطر الباطل علينا تديره
عندك كلاماً حار وزحمه بطليه

ورد شاطر :
نزلت فوق الدرب فرضاً خضيره
وأقوا بك السيار والعين ويليه

ثم عاد الطرفين ليغيروا من نمط الإلقاء ولونه إلى لون آخر بقافية مختلفة عن سابقتها ..

قال أبن مستور :
يامعلوي من شرَها نجيت
والقاله الليله لخِذتها

ورد شاطر :
نقيت لك منته معي فالبيت
والبيض صبياني تفيدها

ويبدو أن الشاعر أبن مستور وقتها كان يعاني من عارض صحي لذا أعتذر عن الإكمال وأعطى المجال لشاعرا آخر أسمه عبداللّه للمواصلة بنفس القافية

فقال عبدالله :

حكمَتها وأنا علها أوسيت

وذمتي ما أنا مودها

ورد شاطر :

لاعد تُصدق فيه إن بُليت

أدري تبيني لك بعدها

فقال عبدالله:

علوم شدَت ولا شي فيت

والحكمه قطعنا وراقها

ورد شاطر :

فمن يمن علِم بني ثبيت

وأعلم لبالحارث ورا قها*

وأستمر حفلهم بعدها إلى بقية ليلتهم تلك وبعد أنتهائها قفل وفد آل جاملة عائدا إلى ديارهم .

وبعدها بفترة ليست بالطويلة قدم وفدا من قبيلة المعالية بكل شيمة ووفاء تدل على معرفة وحفظ هذه القبائل لحق الجار والضيف قاصدين قبيلة آل جامله من بني مالك قبيلة جارهم وغريمهم أبن جبري وبصحبتهم بندقيتين أعتبروها (نقّا وسداد) ودخلوا إلى مكان مضيفيهم بزملة تقول كلماتها :

جينا بمحله فوق محله
وردف جرا فوق جر
وجوبها روس القبيلة
يامالكي ونحن عمر

فتقدم أبن جبري المستقبلين وهو يرد عليهم قائلا :

أحسبك يانهبه مع العراضه

وأثار راعيها مغيلها

فرد عليه أحد شعراء عمر قائلا :

مأ جرنا من سدّ* ريع الحمضه*

الا دواعيها نحيلها

*القتّه والجحيره: أماكن في بلاد عمر.

*قها : منطقة في بلاد ثقيف

*سدّ : خلف أو وراء

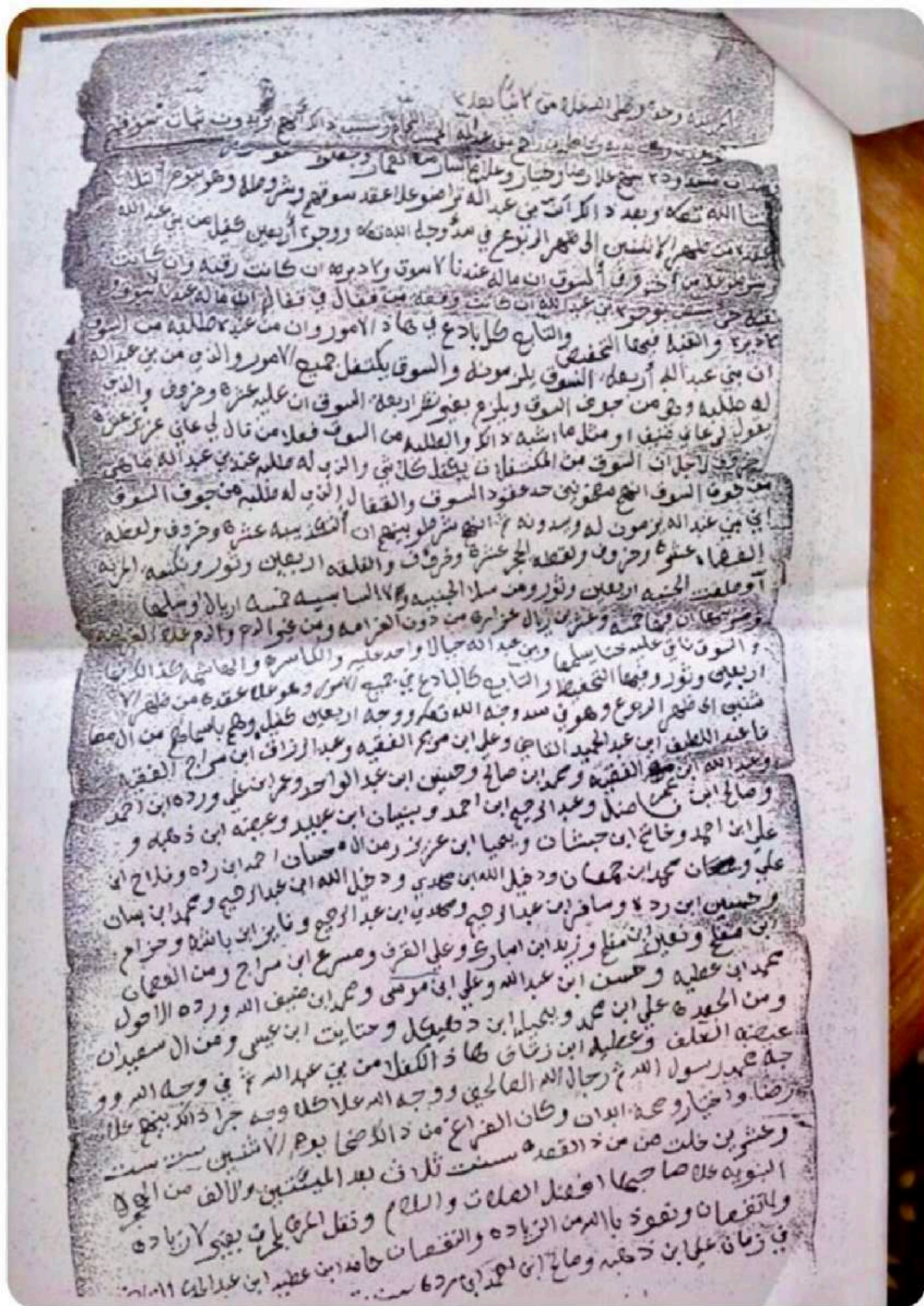
*ريع الحمضه : مكان في بلاد عمر.



كان للأسواق أهميتها ودورها الذي تجاوز جميع ماذكر ليكون بمثابة وسيلة سياسية تتبادل فيه الاراء وتعقد من خلاله الأتفاقيات والتحالفات والتصالح فيما بين القبائل المختلفة والمجاورة لهذا نعود لمسرح حوادثنا القادمة والمتمثل في سوق الثلاثاء في أضم والخاضع كما أسلفنا لقبائل بني عبداللّه والتي كانت لأجله تنتخب شيخا مفوها كأحد السدنة المتواجدين في السوق بأستمرار ، وكانت خطبة هذا الشيخ تتجدد مع حلول وقت السوق ووفقا للمستجدات إذ يخبرهم من خلاله بالأخبار والأعلام وبكل حدث جلل يستحق الذكر .

وبجانب ذلك كان يتكفل بالمرور على حاضري السوق من باعة ومشترين للتنظيم وحل أي خلافات قد تحدث مع التذكير بقوانين السوق مشددا على قدرة قبيلته من بني عبدالله على حمايته والقيام باللازم تجاه مايمكن أن يعكر صفوة .

في ذات الوقت كانت الطرق المؤدية الى السوق وتسمى(سبل السوق) تخضع لحمايه صارمة من قبل هذه القبائل لكل من يعبر منها أو قاصدا إلى السوق بحيث أنه يدخل في ضمان من الاعتداء أو القتل أو قطع الطريق ومن يتجاوز هذا الضمان فأنه يكون عرضة لهدر دمه أيا كان .



وثيقة خاصة بسوق الثلاثاء في أضم تم تحريرها بخط أحد القضاة في المنطقة في يوم 26 ذوالقعدة من عام 1203 هجرية وتوضح شروط وقوانين وأنظمة السوق والقائمين عليه .





لم يتبق من سوق الثلاثاء القديم في أضم

(بني مالك) سوى الأطلال .

أستمرت قوانين الأسواق سائدة حتى وقت قريب ومن أحدث القصص عنها ماقبل خمسون سنة مضت مابين قبيلتي ثقيف وبني مالك ولحادثتها قصة نطرحها عليكم ..

كان سوق الأربعاء في ترعة ثقيف (سوق بني جاهل) يموج بالمتسوقين من كافة القبائل وفي إحدى زواياه حدث نوع من الأحتكاك مابين شخصين من قبيلتين مختلفتين لسبب لانعلمه أحدهما مالكي والآخر ثقفي من أهل الدار ويبدو أن الموقف مابين الطرفين قد تطور إلى مشاجرة عنيفة أستخدمت فيها العصي والجنابى وتأثر نتيجته الثقفي وأستطاع عقلاء القبيلتين بعدها من فض النزاع والأشتباك بيد أن الأمر أثار حفيظة وغضب القائمين على السوق وعدو ماتم من كسر لقوانينه بمثابة أهانة لهم وأختراق لكرامتهم فقد كانت للاسواق بين القبائل

قوانين صارمة توجب الأحترام وعدم النقض وماتم من مشاجرة أخلّ بهذه الأنظمة يضاف لها رغبتهم في وأد الفتنة في مهدها ومنعا لتكرارها لهذا أجتمعوا مع عددا من مشايخ ثقيف وأتفقوا على أرسال وفدا (قبّل) إلى بني مالك يشمل بعض المشايخ وأعيان وشعراء قبيلة ثقيف وفي مقدمتهم الشاعر حسين بن شلاع الحبيري الثقفي وأتجهوا قاصدين دار الشيخ / الحسين بن غليون وهو أحد مشايخ قبيلة بني عمرو من بني مالك وكان يعرف بحزمه كما كانت كلمته تجد الأحترام من الجميع .

أستقبل الشيخ الحسين وجماعته بني عمرو ضيوفهم الثقفان أهل الوفد بما يليق بمقامهم من حفاوة وتكريم وجريا على العادات القبلية السائدة كان الضيوف ينتخبون مرشحا يمثلهم يستهل المجلس بأعطاء (علّمة) تشرح وضع السيرة والديرة القادمين منها وبعد الأنتهاء من (العلّمة) ينتقل المتحدث لإيضاح سبب قدومهم وهو ماحدث إذ شرح له عما تم بتفصيل وماأن أنتهى حتى كرر الشيخ بن غليون الترحيب بهم موضحا أن من قام بالشغب ليس من جماعته (أبا الحليس) وإنما هو من قبيلة آخرى لهذا فهو شخصيا غير معني بهذا الأمر وغير ملزم بغير جماعته لهذا يمكن نقل (الحق والمعدال) لمن يعنيهم الشأن وهو الأمر الذي رفضه الضيوف وأكدوا أنهم ماقدموا إليه إلا لثقتهم بقدرته على حل الإشكال

ولهذا فلن يستبدلونه بغيره نهائيا الأمر الذي جعله يوعدهم بكل خير مكررا الترحيب بهم وبعد أنتهائه من تقديم الولائم لضيوفه أشار لأحد الشعّار المعروفين في بني مالك بالبدء في بدع قصيدته وكان الشاعر هذا هو سعد الجهلاني الذي قال :

إذا مـشـيـنـا عـلـى درب الـوفـا ماتعبـنـا

وسجـل المعرفـه من عند ناسـ(ن) ثقـيفين

لـكـم تراحـيـب مـن شـرق وشـامـ(ن) ويـامـن

حلفت ماأطري الكلام الشين والسوء قباحه

وأن كـان تـكـتـب وتقرأ الفاتحـه مـاأنـت عمي

فرد عليه شاعر ثقيف حسين الحبيري
قائلا :

سـلام ياحصـ(ن) مسبوك البناء ماتعبنا
أنتـم بني مـالـك الـهيّلا وحـنـا ثقيفيـن
حـلفت مـانفـرق الـمخـتـاف حتى ويامن
مـاأطـاوع اللي يبيح الـدرب والسـوق بـاحــه
حـلفت ماروح عـنـك وأنت أبي وأنت عمي

وبحكم مايربط القبيلتين من نسب وتصاهر وعنوّة يضاف لها التجاور الحسن فقد تم الأكتفاء بما عبر عنه الشاعرين من رفض وأستنكار لما حدث وماعبروا عنه من علاقة يسودها الود والأحترام .

مخلاص قبيلة بني حرب

للذبياني



في أحدى الأيام التي كان الشيطان حاضرا فيها لسوق الثلاثاء في أضم (بني مالك) حدث أمرا لم يسبق له الحدوث من قبل في هذا السوق وكان أطراف هذا الحادث بني مالك (ممثلين في بني عبدالله أهل السوق) وقبيلتي بني ذبيان وزهران بصفتهما قبيلتين عزيزتين ومجاورتين لبني مالك ، ماحدث أن أحد الهابطين الى السوق من قبيلة زهران أختلف مع آخر من بني ذبيان في البيع والمشترى وعلى ماظهر حينها (بحسب حديث الرواة) كان الخلاف حول المساومة على مجموعة من الأغنام ومعه أحتدم الخلاف وتطور وأدى بالزهراني إلى قتل الذبياني في سبل ذلك السوق ثم هرب مسرعا من موقع جريمته مما دعى الحضور من بني ذبيان للاستشاطة غضبا مما حدث وأعتزوا ببعضهم البعض .

وأخذوا قتيلهم عائدين إلى ديارهم لأخبارهم بالحادثة ومالبثوا حتى قاموا بأرسال مايسمى بالقبَل (ويعني الوفد) الى بني عبداللّه في أضم ، للمطالبة بدم أبنهم المغدور ..

أتجه الوفد الغاضب يحثّ المسير متجها إلى وادي أضم قاصدا قبيلة بني عبداللّه وكان بصحبة الوفد شاعر بني ذبيان الداهية جعري الذبياني والذي يعد من كبار شعار بني ذبيان تلك الأونة وعلى غير بعيدا منهم خرج وفدا يتقدمهم الشاعر الكبير عطية بن عيده الغفيري مع رفقة له قادمين من وادي بخيان ومتجهين بدورهم أيضا إلى وادي أضم بغرض التسوق عندها تصادف الجمعان بالطريق فعرف الشاعر جعري الذبياني خصمه الشاعر الكبير عطية بن عيّده والذي برغم أنه مالكي ولكنه ينتسب للغفرة من بني عمرو إلا أن جعري

وجه إليه الخطاب بأبيات تحمل لغة غاضبة معتزيا فيها بقومه قائلا :

عزوتي من بني ذبيان مثل البحر وعلى صفا
حزبنا شغل أبو نيشان والصفر زاده في لهوبه
لو وقع واحد(ن) في راسه أما غدا وإلا بقّر

فرد عليه عطيه بن عيده :

حي معول صليب اقليز صامد لو يصفق صفا
والملعّب معه بارود وحديد دايم في لهوبه
لو يلعّب جبال الحجز ظلت كما خبت البقر

فقال جعري الذبياني :

عزوتي من بني ذبيان من فعلنا ماترى جفا
نلطم الخصم وقت الضيق واللي غلط ماشي متوبه
نطعم اللي تمنى يلتقينا من الحنظل صبّر

فرد عليه عطيه بن عيده :

عـزوتـي مـن بنـي مـالـك وخصامنا يـتـراجفا
نحتمي حدانـنـا واللي تمنى لقـانـا شيمتو بـه
والـذي يبـغي الفتنـه جنـاهـا فـرق والا صُبر

وبعدها أنفض الطرفين وأتجه وفد بني ذبيان قاصدا مشايخ بني عبدالله الذين بدورهم رحبوا بوفد بني ذبيان وأكرموهم إيما أكرام برغم الغضب العارم الذي أستبّد بالوفد القادم وتحكم حتى بنبرات كلماتهم إلا أن أحد شيوخ بني عبدالله حاول تهدئتهم بقوله : أبشروا وبحول اللّه ياحقكم أنه ليصل لحدكم وأتبع كلماته بتقديم بندقيته كهدية الى رئيس الوفد كنوع من الحفاوة المشفوعة بالأعتذار وأتبعها قائلا يامرحبا بكم ياضيوفنا وودنا أنا لقيناكم في غير ذا العلم لكن أبشروا حقكم في وجيهنا وخيّركم اللّه بين ثنتين ياتعطونا مهله

ناخذ بثاركم والا أنا قدامكم خذوا حقكم في ولدكم مني وإلا أختاروا منا يابني عبدالّله من تبغون وخذوه مخلاص..!!

فقال الذبياني بغضب : هذي ماهي من عوايدنا يابني ذبيان ولكن خذوا العلم .. عندكم يابني عبدالّله مهلة دورين (زمن سوقين) ياتجيبون القاتل وإن مافعلتوا فالمخلاص بيدينا وبنقتل واحد من زهران في سبل سوقكم كما ماأنذبح ولدنا في نفس السبل ..

ولم يكد يتم جملته حتى دبت الضوضاء في المجلس غضبا مما قاله فأنتهاك السوق والطرق المؤدية إليه كان بمثابة إهانة وإنتهاك لكرامتهم وعندها نهض شيخ آخر من بني عبدالّله قاصدا تهدئة الوضع مطالبا الاخرين بالهدوء والتزام الصمت ووجه حديثه للوفد : أبشروا يابني ذبيان .. أبشروا بحقكم والمهله ان

وافقتوا عليها وأما غيرها فلا تحدونا على شي ماهو بصالحنا ولا صالحكم ، نحن ناوين على أخذ حقكم وحقنا بعد ، فكما ماتبغون دمه ، فنحن بعد نطلب حق سوقنا وحق سبلنا ..

عندها صمت الوفد الذبياني موافقا كلامه ، وتم القيام بواجب الضيافة على الوجه الأكمل وبما يليق بالضيوف من قبل بني عبداللّه من خلال أعداد وليمة أكرام كبيرة وماكادوا ينتهون حتى بدأ التحضير لعرضة الحرب مع تسارع إيقاعات صوت الزير وكما قالوا بني مالك قديما في أمثالهم (الزيّر عزّام) .

وكيف لايكون عزام وهو يحظى بتواجد شاعرين من الطراز الثقيل ممثلين بالشاعر صلاح الطاوي من بني عبداللّه من بني حرب والشاعر جعري الذبياني من بني ذبيان الذي بدأ قائلا :

عزوتي يسقون راعي الصباح سم
أهل بندق في المحاجي نظايمي
وأردف قائلا ..
ياشعب لابد نرضى بما قسم
والنقا بالمعتدي ماهو بظايمي

فرد عليه صلاح الطاوي :
من تعدى فيك ياسبل سوق أضم
الصلّي له والمه والردايمي

وأكمل قائلا ..

عزوتي ضموا علوم الرجال ضم

والعدو خلوه في المرّ دايمي

(بطبيعة الحال المحاورة طويلة بين الطرفين ولكننا نكتفي منها بهذا القدر لعدم أكتمال النص الكامل من قبل المصدر)

بعد أنتهاء مراسم الأحتفاء قفل وفد بني ذبيان عائدين إلى ديارهم في الوقت الذي أخذ أعيان قبيلة بني عبدالله بالتشاور فيما بينهم في كيفية الأخذ بثأرهم وثأر بني ذبيان وقاموا بأرسال بعض المحاربين للترصد للقاتل إلا أنهم برغم ذلك لم يجدوا سبيلا إليه فهو بحسب ماعرفوا منذ حادثة السوق لم يخرج من دياره وأيضا لم يعد إلى داره ولا قريته وربما أنه يعود تحت ستار الليل متحاشيا الخروج علانية وهو

الأمر الذي لايستطيعون تأكيده وقد يعرضهم للمتاعب وسوء الفهم مع بني قومه أثناء الدفاع عنه لذا وبعد تشاور آثروا العودة إلى قبيلتهم معلنين صراحة عدم قدرتهم على الأخذ بالثأر وهو الشيء الذي أغضب أحد المتواجدين فنهض غاضبا منهم ناعتا أياهم بكافة مفردات الفشل والتخاذل عندها التفت إليه أحد وجهاء القبيلة قائلا له: أجل تدري .. رح أنت وخذ معك واحد من كل قبيلة من بني عبدالله حتى يكون الثار بأسمنا كلنا ..

عندها رفض بإباء يشوبه نوع من الكبرياء قائلا :كل ذا المجموعه راحوا ماجابوا علم لكن أبروح لحالي وأن متّ فدمي للتراب ولحمي للغراب ..!!

وفعلا ذهب ذلك الرجل بعد أن ودع أهله وقومه للبحث خصوصا وهو يعلم أن قبيلة القاتل ستحول دون المساس به وربما دفع حياته ثمنا لمغامرته هذه فقصد بلاد زهران للتحري عن القاتل وعلم أن لديه قطيع كبير من الأغنام عندها تسلل إلى قبيلة الزهراني متنكرا على أنه تاجر مواشي قدم من قبيلة بعيدة ويبحث عن أغنام لشرائها فطرحت له عدة أسماء لتجار مواشي كان من بينها أسم القاتل الذي سأل عنه بحذر وعلم منهم أن لديه العديد من المواشي ولكنه من بعد حادثة حدثت له في بني مالك أصبح يقضي وقته مابينها بصحبة مجموعة من أقاربه وأصدقائه في منطقة جبلية تسمى (الجرداء) مما دعاه للذهاب إلى هناك .

منتظرا حتى بدء قدوم الليل بظلامه الساتر وأخذ يترقب لخصمه وعودته لمكانه وهو الأمر الذي لم يطول إذ أخذت أصواتهم تعتلي مع أدخالهم للأغنام في أحد المغارات القريبة مما دعاه للتسلل بحذر شديد حتى دخل الغار ولبث رابضا مابين الأغنام لكي يكون على مقربة للأستماع إليهم ومعرفة وجهته القادمة بمعزل عن رفقته الذين كانوا مسلحين ويحيطون به من كل جانب ويقينا فمحاولته لقتله فيما بينهم وفي ظل أبتعاده عن حدود بني مالك كان يعتبر ضربا من الجنون لذا تمسك بالصبر وأستمر على هذه الحال من دخول للغار وخروج عدة أيام متحينا الفرصة المواتية وهو الشيء الذي حدث عندما سمع القاتل ذات ليلة يخبر رفقته برغبته بالذهاب إلى سوق الأحد في الصباح الباكر لبيع بعض الأغنام .

وسوق الأحد من الأسواق المعروفة بتهامة زهران والقريبة في الوقت ذاته من الحدود المالكية لهذا فرح وأستبشر طالب الثأر موقنا بالظفر من غنيمته وأنتظر حتى الفجر وهو الوقت الذي خرج عنده الجاني متجها للسوق لهذا تسلل خلفه بهدوء وأخذ يسير كيفما سار غريمه ويتوقف متى توقف أنتظارا للفرصة المواتية وهو ماحدث فحينما وصل إلى منطقة تسمى الصفاردة في مكان يقال له (الشعّب) عندها أيقن أن الفرصة سانحة للإنتقام ولم ينتظر طويلا حتى أخرج بندقيته وصوبها إلى خصمه فأرداه قتيلا وعمد إلى حزام الضحية المليء بالرصاص وأخذه بجانب بندقيته لكي يثبت لقومه صدق مقتله .

وعاد مسرعا الى أضم ليعلن الانتصار والتفويز ،ولكنه عندما دخل إلى حدود بني مالك توقف في منطقة تسمى (القهب) وأخذت الوساوس تعبث برأسه فقومه حتما سيصدقونه ولكن ماذا لو لم يصدقه بني ذبيان ولماذا لم يعمد لأخذ رأسه حتى يكون شاهدا حيا أوضح على الانتصار لذا عاد مهرولا إلى ضحيته ، ولكن في الجانب الآخر بدا أن صوت طلقته النارية التي وجهها لضحيته قد جذب العديد من أهل المنطقة لمصدرها لذا فحين عاد إلى الجثة وجد أمامه عددا من أبناء قبيلة الضحية وقد تجمعوا من حوله ليحملوا جثته وما أن شاهده بعضهم حتى عرفوا أنه القاتل .

فتنادوا بصوت عال وهم يعتزون لمطاردته ولكنه فرّ منهم بيد أن أحدهم عرف وجهته وأختصر طريقا يؤدي إليها معترضا طريقه ببندقية كانت في يدة هدف منها لقنص القاتل بها ولهذا لم يجد بدّ من الدفاع عن نفسه وعاجل المعترض برصاصة من بندقيته ليطرحه صريعا وأخذ بالركض متجها لقومه ودياره في أضم .

وسرعان ماأخبرهم بأنه قتل الجاني ولكنه بالمقابل قتل رجل آخر لاذنب له عندها أدرك القوم حجم الكارثة ومن كون المندوب قد أثار فتنة جديدة مابين بني مالك ممثلين في بني عبدالله من جهة وزهران من جهة أخرى..!!

لامه أبناء قومه لوما شديدا على مافعله من قتل شخص بريء لاذنب له ولكنه أوضح لهم أنه لم يكن له مفر مما فعل إذ لم يكن لديه خيار آخر يستطيع فعله سوى قتل ذلك الرجل أو بالمقابل يقتل هو ..

سبق السيف العذل كما قالت العرب قديما لذا بادر بني عبدالله بإرسال مناديب إلى بني ذبيان لأخبارهم بأنه قد تم الأقتصاص من قاتل أبنهم ، ففرح بنو ذبيان وأحتفلوا (مفوزين) إبتهاجا بهذا الثأر ..

لكن بالمقابل الأمور لدى بني عبدالله لم تكن تدعو للبهجة أو التفائل لشعورهم بحجم الخطأ الذي قام به مندوبهم من قتله لشخص بريء ولهذا فلا جدوى من التبرير أو دفع الديّة لمعرفتهم أن خصمهم لن يرضيه سوى المخلاص وكما كان متوقعا أعادت هذه الحادثة مسلسل ثأرا جديدا مابين قبيلتي زهران وبني مالك ، وبرغم ذلك فقد كان أفراد

قبيلة بني عبدالله حذرين أشد الحذر مما هو قادم لعلمهم بأن قبيلة زهران لن تقف موقف المتفرج بل سيعمد أبنائها لأخذ ثأرهم ، وبالتالي فأن أخذهم للثأر سيجبر بني مالك على الرد مامعناه أن الأفق ينذر بالسوء وستكون هناك سلسلة من المجازر قد أضحت وشيكه مابين بني مالك وزهران وقد تؤدي لحرب دموية مابين الطرفين ..!!

وبالفعل صدقت تنبؤات المتشائمون فكان قتل الزهراني الاخر بداية لمسلسل دامي بين بني مالك وزهران وأستمر تبادل الثأر مابين الطرفين لفترة من الزمن خلفت خلالها العديد من الضحايا من الطرفين ، حتى تدخل الحكماء (المستحين) للصلح مابينهم وأطفاء شرارة فتنة أندلعت بداياتها من سوق الثلاثاء في أضم والتابعة لحدود بني عبدالله من تهامة بني مالك .

إجارة آل جاملة
للضيف الثقفي



كان الطريق منهكا لأحد أبناء قبيلة ثقيف والذي أخذ يسوق بعض أغنامه قاصدا بيعها بجانب بعض المنتوجات الزراعية في منطقة تهامة وتحديدا سوق الثلاثاء في أضم والتابع لقبيلة بني عبدالله من بني مالك ولم تتمثل مشقة الطريق فقط في عسّر وصعوبة مسالكة من السراة إلى تهامة بل وبعده أيضا حيث يستوجب عليه الأمر عبور عدة قبائل بدء بأراضي قبيلة بني ذبيان ومن ثم قبيلة بني عفيف من بني عمرو من بني مالك ولكن الثقفي عبر هذه الأراضي حتى وصل إلى أراضي آل جاملة من بني عفيف الذين أعترضوا طريقه أحتفاء به كضيف عابر .

وكعادتهم الكريمة أصروّا والحوّا عليه الدعوة لأستضافته بعد التعرف عليه وعلى الجهة القادم منها والجهة التي يقصدها فحاول التهرب بحجة هبوطه للسوق .

ولكنهم قطعوا عليه خط الرجعة حين قال أحدهم : نحن ذلحين عصر والسوق مايمديك وصلت إلا وهو غلق لكن الشور أنك تتعشى معنا الليلة والصبح اللّه يفتحلك تلحق على أول السوق لذا لم يجد الضيف بدا من الأستجابة لدعوتهم الكريمة وأخذ واجب ضيافته وبات ليلته لدى مضيفيه وقبل الفجر أستأذنهم بالصلاة في الطريق واللحاق بالسوق مبكرا حتى يتمكن من أخذ مكانا ملائما لعرض بضاعته بعد أن شكرلهم حسن ضيافتهم وخرج في طريقه قاصدا السوق .

على الطرف الآخر كان هناك شابا صغيرا من آل ساعدة وهم من أهل الجائزة من بني حرب آلمه شدة توبيخ والده له حين عاد بأغنامه في وقت متأخر من الليل وهي ناقصة العدد فأقسم عليه أبيه أن لايعود البيت إلا مع مافقد من أغنام فخرج على وجهه بصحبة بندقيته قاصدا

أماكن رعيه السابقة وأخذ طوال ليله يبحث
هائما عنها في الأودية والجبال بلا جدوى حتى
ظهرت تباشير الفجر دون أن ينتبه إلى أنه في
خضم بحثه قد تخطى حدود قبيلته وحين
يأس من بحثه خرج بمحصلة إلى أن أغنامه قد
أختفت بفعل فاعل كان الوقت فجرا والرؤية
غير واضحة تماما إلا أنه أنتبه إلى أن ثمة شبح
شخص غريب يقود مجموعة من الأغنام
ويحاول تحاشيه والأختباء عنه .
لذا أيقن حينها أنه اللص الهارب وعزز من
ظنونه هروب الرجل فلحق به ولكن الرجل
أبتعد مسرعا مما دعاه لأطلاق رصاصة من
بندقيته من فوق رأسه بقصد تخويفه وإيقافه
ولكن الرصاصة لسوء الحظ أصابت الرجل في
مقتل أثناء أرتفاعه المفاجيء في (ريع) قريب
وسقط مضرجا بدمائه فأسرع الشاب بهلع إليه
محاولا أنقاذ مايمكن أنقاذه .

ولكنه وجد أن فات الفوت فالرصاصة أصابت الرجل في رأسه ونظر نظرة سريعة إلى الأغنام فوجدها لاتشبه أغنامه المفقودة ولاتمت لها بصلة مما جعله يجثو على ركبتيه نادبا سوء حظه الذي جعله يقتل شخص بريء ثم نهض وهرب إلى غير وجهه .

لم يكن القتيل سوى ذلك (الثقفي) والذي ظن أن الشاب حين رأه وهو حاملا بندقيته مع بزوغ الفجر ومتجها إليه ليس سوى قاطع طريق لذا حاول حينها تحاشيه والهرب عنه ولكن أرادت مشيئة اللّه سبحانه أن يكون ضحية لذلك الشاب خصوصا وقد أسترعى صوت طلقته النارية التى تردد صداها مابين أرجاء الجبال شخصين من قبيلة آل جامله كانوا قريبين من مكان الحادثة والذين سرعان ماأتجهوا لمصدر الطلقة .

وشاهدوا الشاب وعرفوه ولكنهم أنشغلوا عن مطاردته بتفقد حال القتيل الغارق بدمائه ولم يلبث الأمر طويلا حتى أنتشرت حادثة القتل في كافة أنحاء المنطقة .

فخرج خوامس* آل جاملة وبني عفيف يعتريهم الغضب الشديد بأتجاه بني عبداللّه مطالبين بتسليمهم القاتل للاقتصاص منه لكونه قتل ضيفهم الثقفي داخل أراضيهم وحماهم مما دعى بني عبداللّه للرد عليهم بأن القاتل ليس منهم وإنما من أهل الجائزة ولاتعرف له وجهه فهو قد هرب عن قبيلته منذ ساعة الحادثة ولكنهم في الوقت ذاته على أستعداد لدفع دية القتيل بصفته قاصدا سبل سوقهم وهو الأمر الذي على مايبدو لم يروق لرجال آل جاملة معتبرين أن ماحدث يعد بمثابة أنتقاص لكرامتهم وقدرتهم على حماية جارهم الثقفي الذي تحرم دمه بطعامهم وقرروا أن لامخلاص سوى بأخذ النقا (الثأر) ممن قتله .

فأخذوا بالترصد للشاب حتى شاهدوه بعد فترة من الزمن في طريق عودته لقريته في ريع يسمى (ريع الحليّة) وسرعان ماواجهه المتربصون وأراد أن يشرح لهم أبعاد قصته ولكنهم لم ينصتوا وأنما عاجلوه برصاصةكانت كفيله بأسقاطه قتيلا وأخذوا بالأحتفال والتفويز لأخذهم بثأر ضيفهم وهو الأمر الذي لاقى السخط من قبل عائلة الشاب وقبيلته الذين وجدوا أن قتله دون أستشارتهم والعودة إليهم وبهذا الشكل المهين (بحسب وجهة نظرهم) يعد بمثابة أعلان حرب وهو الشيء الذي دعاهم للتربص لمن قتله حتى أدركوه ومن ثم عاجلوا بقتله وكان مقتله مدعاة لدخول الطرفين بعدها في قتال متبادل دام فترة ليست بالقصيرة ذهب ضحيته الكثير من الضحايا من الجانبين .

ووصف هذه الفتنة أحد الشعراء بحزن تضمنته كلماته وهو يقول :

أحمد يقل لاسقاك اللّه ياصار ياصار
ياللي ذريت الفتن بين الرفاقه والأخوان
أربعطعش في شهر شوال راحوا ضحيه
ياغبن قلبي عليكم ياالثقات المطاليق
حزّ(ن) يسجل ويكتب في علّن كل وادي

وأستمر تداول الأدوار مابين القبيلتين مابين قاتل ومقتول حتى تم التدخل فيما بينهم من قبل العقلاء والمصلحين وكان يطلق عليهم قديما (المستحين) وكان لأهل هذه الفئة أحتراما يفرضه بجانب جاههم علو قدرهم لدى كل الأطراف فكانوا يذهبون لعقر دار أهل القرى المتضررة ويجتمعون بعقلائها لأجل الصلح حتى لو أستدعى الأمر الدفع من أموالهم لأجل أطفاء الفتّنة .

وبالفعل أستجابت جميع الأطراف وبشكل أعاد الصفاء مابين القبيلتين وبعد حكم قبلي منصف لجميع الأطراف وهو ما جعل الشاعر صلاح الطاوي المالكي (رحمه اللّه) وهو من آل جاملة ويعد من صفوة الشعراء في زمانه للقيام بعد فترة من الزمن بصياغة تفاصيل القصة على شكل نشيد قال فيه :

بدعت الهيض من طيب الهجوس
مثيل التمر من روس الغروس
مع العصمّان سُهّيل النفوس
ليا جا الضيف يعطونه نصيبه

ومثل المحض من در البكار
إلى ضحّت وعشّت في خضار
بديره ماهجع فيها غبار
مع متعان ف أشعاب(ن) نشيبه

وهذا المعتدي طلاب شرّ
ويتعبى لقفال(ن) خطر
ولا حسّب لمن جا أو حضر
وسوق المالكي مايستهيبه

ولو هو ما أعتدى في جارنا
وجرّ العلم وسط ديارنا
ولا نحزا فوات أعمارنا
لننقى به رضى والا غصيبة

بدوّ راس الحليّة من ضحى
وضلى بيننا يتراضحى
بغى يشرد ولكنه أستحى
ووقف مقصده فك النشيبة

وجروا بالعزايا في خراص
تلاقطنا بمقلوت الرصاص
وطاح أثنين والثالث خلاص
ورابعنا سلم وأخطى نصيبه

نكفّنا يابني مالك نكف
وكلـ(ن) في طريقه ماوقف
من الحجّره إلى مبدى عفف
وذبح المالكي ماأ نا صخي به

ولو ماسبني بالثقفي
وهو ضيفي ولا علمه خفي
لمثله بالتراحيب نحتفي
وجاك الخير وأيامه قريبه

وتطرق للحادثة أيضا الشاعر الكبيرحنش المطاعي وأوردها ضمن نشيده الطويل والرائع والذي تناول فيه مدح قبائل بني مالك وبعض القبائل المحيطة ويقول في مطلعه :

الا ياللـه طلبـتـك يالطـيـف
تسامحني في اللحد القصيـف
تراني من عـذابـك مستخيـف
وتـغـفـر لـي وتـرحــم والــديـه

إلى أمسيت اللحود المظلمات
وشفـت الصــادره والـواردات
تـثـبـتـني عـلـى قـول الـثـبـات
وروحـي لا تـخـلـيـهـا شـقــيـه

إلى أن يصل لذكر هذه الحادثة ممتدحا آل جاملة لحفظهم حقوق جارهم قائلا :

وصوب الجاملي سعد الرفيق
حزّاة الخصم والضايق يضيق
ويا جاهل ترا علمي حقيق
إلى قالوا مشينا للسريّه

نقوا في ضيفهم والرا سريع
بمدلوك(ن) بدوا به راس ريع
بدى به كل رجال(ن) شجيع
في الجفره وفي ريع الحليّه

آل جامـلـّة

ووفائهم لحفظ حقوق الجيرة

في قصّة أغرب من الخيال



القصة القادمة وهي للحق يمكنني القول بأني لم أرى لها شبيها لا في قصص التاريخ السابقة ولا أعتقد أنني سأرى لها شبيها لاحقا في مستقبل الأيام وتحكي فصولها الدامية عن حادثة حدثت مابين قبيلة آل جاملة من بني مالك وقبيلة بني ذبيان الجارة التهامية العزيزة والمجاورة لتهامة بني مالك ففي إحدى المناوشات على الحمى قام رجل من بني ذبيان بقتل أحد أفراد قبيلة آل جاملة أثر خلاف بين الطرفين وسرعان ماألتجأ الجاني إلى دور قبيلته هرباً من أنتقام عائلة المجني عليه وقبيلته إلا أنه مرت فترة طويلة من الزمن والذبياني في دياره آمن محتميا بأفراد قبيلته حتى ظن أن الحادثة قد أندثرت وطواها النسيان .

خصوصا وهو طوال الفترات الماضية لم ينج من النظرات المريبة لبعض أبناء قبيلته والتي تحمل له مع أزدياد مرور الوقت رسائل الأتهام المبطنة بالجبن والخوف من الخصوم إلا أنه في إحدى الليالي حسم أمره على أن يقدم على أرتياد سوق الثلاثاء في أضم والتابع لبني عبدالله من بني مالك الموافق لليوم التالي مهما كانت عواقب قراره هذا وبرغم المحاذير التي قدمها إليه حكماء قبيلته بأن لايقترب من أسواق بني مالك مدركين أنهم لن يتركوه هكذا بل سيقتلونه لامحالة .

لم يستسلم الذبياني أو يستجيب لتحذيراتهم خصوصا وقد تملكته شجاعة الأقدام على هكذا خطوة فالموت لمرة واحدة أرحم بكثير من همسات ونظرات تقتله كل يوم .

لذا هبط بخفية متسترا حتى دخل إلى السوق
إلا أن بعض الأعين الراصدة لقبيلة آل جاملة
أنتبهت إليه وأخذت في تتبع خطواته بحذر
لتتمكن من رصده عند الخروج بيد أن مامنعهم
من قتله في سوق أضم القوانين الصارمة لهذا
السوق ومرتاديه (شأنه شأن الأسواق القديمة
في بني مالك) إذ تسّن فيه قوانين حازمة منها
تحريم سفك الدم فيه لأي حال من الأحوال ومع
أنتهاء السوق وبدء خروج الباعّة والمتسوقين
إلى قبائلهم وقراهم أنتبه أحد رجال بني ذبيان
لما يدور ماحول السوق فقام بتحذير الذبياني
بأن هناك بعض من رجال آل جامله قد شاهدوه
ويترصدون لقتله .

كان الرجل ذو حيلة فذهب كنوع من الإستجارة مرافقا لوفد من بني عفيف العائد لدياره وكنوع من الإستجارة فقد صاحبهم كرفيق درب وبطبيعة الحال كان لرفيق الدرب وقتها حقوق وأحترام لدى قبائل بني مالك فالرفقة تعني أن الطرف الآخر قد أستجار بك وأستأمنك على روحه وماله .

وكما كان متأملا رحبوا به كجارا لهم ورفيق للطريق في الوقت الذي كان به الجاملة يرقبون عن بعد اللحظة التي ستنفض فيها هذه الرفقة المصاحبة من قومهم بني عفيف ، وأخذ وفد بني عفيف بالتناقص مع وصولهم إلى دورهم

وقدّم من تبقى منهم له بألحاح الدعوة لوليمة العشاء إلا أنه رفض بإباء ، وكأنه أراد الأثبات أنه لايخشى أي شيء قادم إذ أن مصطلح الخوف يعّد من مخدشات الرجولة .. أنطلق في طريقه مهرولا وهو يتستر بظلام الليل الذي كان ينيره بدرا أحتجب بعضه كرها لغيمة عابرة لم تمنعه من رؤية أشباح عدة قادمة إليه تعدو قاصدة إياه فعلم أنها لخصومة عندها أخذ يجري بكل مايملك من قوة .

وكان يسمع خطى أقدامهم خلفه ويشعر بالموت يرافقها ويقترب بأقترابهم وأخذت أصواتهم ترتفع وهي تطالبه بالوقوف والأستسلام حينا وحينا آخر تتوعده بالويل والثبور .

وفي أثناء ركضه في ظلمة الليل المبهم أنتبه إلى إضاءات باهتة تصدر من دوّر لاتبعد عنه فقصدها وهو يعدو ودخل هذه القرية رغبة منه بالأستجارة بأهلها وسرعان مالفت نظره أحدى الدور القريبة التي كانت أدخنة نيران الحطب مشتعلة بها فاتجه الى أهل هذه الدار وكعادة تلك الدور كان بابها مفتوحا إلا أن ماأثار غربته هو جراءة مطارديه الذين دخلوا خلفه لهذه القرية بل أن أصواتهم المطالبة له بالتوقف أرتفعت أكثر بعد دخوله القرية ، دخل الذبياني المذعور للدار.

فوجد أمرأة عجوز تمخض لبنا بشكوة مابين يديها ،وحينها لم يتردد من سل جنبيته ممزقا للشكوة وأخذ يشرب من لبنها وكما أسلفنا فهذه عادة تحرم دمه على قاصديه عندها أضطربت العجوز من هذا التصرف المفاجىء وأخذت بالنداء على صاحب الدار الذي ما أن شاهد الموقف حتى فهم مغزاه فصعد معتليا داره

حاملا بندقيتة بيده وهو يصرخ موجها كلامه للضيف وملاحقيه وصلت وخاب طلابك وروحي تراها فدا لك كانت الأصوات الغاضبة تتعالى بالخارج وتتزايد بتزايد أصوات آخرى أنضمت معها فأسر الذبياني لمضيفه بأن قبيلة آل جاملة يريدون قتله .

كان الأمر مفاجئا لصاحب الدار فالجاملة هم قومه وبني عمومته فكيف تصل بهم الجراءة على اللحاق بالرجل والترصّد به وهم يعلمون أنه في جواره ..!!

فقصد درج داره وصعد مرة آخرى لسطح داره لمخاطبة أبناء قومه الذين التفوا حول الدار لمشاهدة الأحداث عن كثب فصرخ بهم مذكرا جاري في داري وروحي فدا روحه واللّه يامن يرشه بالماء لأرشه بالدم .. علم يتعداكم للجميع حاضركم وغايبكم ..

عندها أقترب أحد أبناء عمومته مطالبا إياه بالنزول للحديث معه في محاولة منه لأفهامه الوضع بشكل أوضح فقال له : أنت تعرف ذلحين منهو اللي عندك ..؟

فرد قائلا لايهمني من كان وأبلّغوا من يطلبونه أن مسعاهم خايب وروحي تستبق روحه وعندها أجابه أبن عمه بما يشبه طلقة البندقية في خاصرته قائلا هذا خصمك الذبياني اللي قتل أخوك وتدور عليه .. عندها أصيب بالدوار وتباينت المشاعر في رأسه فحزنه على أخيه المغدور لم يأفل بعد يضاف لها ضياع ثأره الذي ترك جرحا غائرا في نفسه لم يندمل بعد وبرغم هذا إلا أنه تمسك متشبثا بموقفه ومبادئه فأكرم وفادة ضيفه وبالغ في أكرامه دون أن يشعره بمعرفته لهويته .

وقام بإنزاله المنزل الحسن معدا له فراش للنوم بجانبه فوق سطح منزله الحجري المسمى

بالدّارة وأخذ بندقيته بجانبه لحماية ضيفه من أي تهور قد يقوم به أحد أبناء قومه .

أنتصف الليل وأشتد سكونه ولم يعد يسمع في الأنحاء بين الفينة والآخرى سوى نعيق بوم أوعويل ثعالة يتردد صداها في خفوت مابين الجبال وأحيانا عواء ذئبٍ حزين يُسمع عن بعد في الوقت الذي أخذت فيه أعين الخصمين الضيف والمضيف تتأمل لنجوم الليل اللامعة في الأفق ممتنعة عن النوم وسط سكون أراد الذبياني أن يبدده بسؤاله لصاحب الدار : مامر بي اليوم أكبر مامر علي في حياتي فوشهو أكبر شي مرّ عليك في حياتك..؟

أبتلع الجاملي ريقه قبل أن يجاوبه بصدق يغالبه الألم والحسرة: تسألني أجل وش أكبر مامرّ علي ..

ثم زفر زفرة شعر كانها ستتشق صدره وأكمل وهو يحك ذقنه بحيرة قائلا اللي أعيشه ذلحين هو أظنه أكبر مامرّ علي فكيف أنام وقاتل أخي ينام جنبي ..؟!

عندها أنتبه الذبياني مذعورا وكأنما لدغته عقرب .. فلان أخوك ؟

فأجابه بنعم .. شعر الضيف بالحرج يتملكه فما حدث لايمكن تبريره أو الأعتذار عنه وقرر المغادرة من حينه بيد أن الجاملي تمسك به ورفض قائلا: وصلت وخاب طلابك ، ولكن إذا خرجت فأنا ما أمنك من بني عمي وجماعتي ولكن ريّح إلى بكره ويحلها ربك ومالك إلا من يخرجك بأمان إلين تخرج من حمى القبيلة ..

ظهرت تباشير الصباح مشرقة على أعيّن لم تعرف للنوم طريقا وبعد أن قاموا بصلاة الفجر قام المضيف بتقديم فطوره لضيفه والمشتمل على بعض من قرصان الصاج يرافقها الحليب والسمن والعسل ، وبعد أن أفطر الضيف قرر المغادرة بصحبة مضيفه الذي سايره رغبة في حمايته حتى أوصله الى حدود قبيلة بني ذبيان فأخذ الذبياني بشكره على شهامته وجوده التي يندر تواجدها .

إلا أنه سرعان ماقاطعه قائلا انت ذلحين وصلت مأمنك واللّه يستر عليك ، ولكن يحرم علي زادي ياذبحتك أنها على أيدي ، عندها جاوبه الذبياني بصوت يغلبه الندم والحسرة: شهامتك وجودك ذبحتني وأنا حي ومابقي غير الدم واللحم أن قنصتها فتستاهل ..

أفترق الطرفان ولم يلبثوا فترة من الزمن حتى أغار الجاملي بمفرده على دور بني ذبيان وأستطاع أن يظفر بقاتل أخيه ويقتله إلا أن الملفت أن بني ذبيان وبرغم شجاعة رجالهم لم يبدو أي ردة فعل ضده وأنما نصبوا البيارق البيضاء أعترافا بفضل هذا الجاملي وأعلانا بأنتهاء الثأر مابين القبيلتين وكنوع من الأحترام لمشاعر خصومه لم يفوّز* ذلك الجاملي كما درجت عادة من يدرك ثأره .

كـــرم الأخـلاق

مابين البشـران وأبن شلـوان



في بني مالك بجيلة كان الأخصام قد يختلفون في الأراء والمواقف ولكنهم قطعا لايختلفون في المبادىء والمذاهب والشيّم والعادات الحميدة بل كانوا يتسابقون في نيلها .. في حادثتنا هذه لم ينتهي الثأر مابين قبيلة القاسم من جهة وقبيلة البشران من جهة آخرى وهذا مادعى أثنين من البشران للتسلل خفية إلى أراضي القاسم قدوما عبر شفا الغلّطة والذي يفصل مابينه وبين أقرب الدور لاعدائهم مسافة ليست بالقصيرة إلا أنه ترأى لهم مع بدء حلول المغيب صوت أحدهم هو يوجه من حواليه بصوت عال في الأراضي الزراعية التي تتوسط مابين الجريّة ودور القرية .

فأيقنوا أنه من كبار القوم وحينها فرحوا بهذا الثأر السريع والسهل كما قدروه وأخذوا بالتسلل متسترين بالضباب الذي كان غالبا مايغطي هذه المنطقة إلى جانب غابة من أشجار الصفصاف

والعرعر الصنوبرية والزيتون البري الكبيرة والتي يمتلىء بها المكان ولم يلبثوا أن أقتربوا منه حتى تعرفوا على هدفهم فقال أحدهما لرفيقه: لاوالله إلا الضحية الطيبة ..

كان هدفهم المنشود الشيخ بخيت بن شلوان (رحمه الله تعالى) وقتها يصلي المغرب في أحدى أراضيه الشاسعة .

وكان أبن شلوان بجانب أنه من وجهاء قبيلته فقد كان أيضا من أعيان وأغنياء المنطقة في ذلك الزمن فأراضيه وأملاكه تمتد من الجدّا وحتى الشعيرا وكان يمتلك عشرات العبيد يتوزعون للعمل مابين هذه الحقول ولكن لعل الأهم من هذا كله أنه كان أحد أيقونات الكرم والجود المشهورة في بني مالك بل والمنطقة بأكملها فلقد كانت دوره مفتوحة على الدوام وتقام فيها الولائم بشكل يومي للضيوف والضعفاء والمساكين وعابري السبيل والحجاج القاصدين بيت الله الحرام فطريقهم كان يمر

بداره حتى لقب بمقرىء الحاج اليماني في وقت كان يطلق على كل ماكان جنوب بني مالك يمّن (أكد كثيرا من القدماء أنه أقيمت عليه صلاة الغائب في تلك المناطق حينما علموا عن وفاته رحمه اللّه فيما بعد) كان عزيز الجوار لكل من قصده ولازالت أحدى دوره القديمة تحمل مسمى (دار الشاكر) نسبة لأحد عوائل أبا النعيم الكريمة الذين حلوا جيرانا له في زمن ماضي وسكنوها لفترة تزيد عن عقدين من الزمان .

وذكره الشاعر القديم عريج بن مسرع الظويلمي الحربي (رحمه اللّه تعالى) من شعراء تهامة في أحدى المناسبات القديمة قائلا :

كل يقول ليت حـبـه عنده والمدردب*

يامحسنه عند أبن شلوان لا قلّ صبره*

المدردب : الحنطة

صبرة : كومة الحب

أيضا لعل هذا مادعى شاعرا كبيرا مثل عيضة بن طوير للتمثل به فيما بعد في أحدى قصائد محاوراته القديمة مع الشاعر الحميم (رحمهما اللّه تعالى) وقال فيها :

أقول يالوز في فرعـة بجيله بنا حب
عند أبن شلوان والمقبل يجيله محبه
مزارعه في بجيلة ماتقول نش ياطين
أجـواد وبـيوتـهم لازم على العـز تبنـا
والبندقه لاثبت علمانها شي خشيبهً

نعود للمتربصين والذين قدموا حينها بحذر وبعد تحديد الهدف قام أحدهما مرتكزا على بندقيته وموجها نيشانها تجاه بخيت بن شلوان ولكن سرعان مالكزه مرافقه بعد تأمل بكوعه مستغربا : أنت من صدقك بتذبحه .. هذا بخيت بن شلوان من أجواد العرب .

فأصر الآخر وأقسم على قتله مما دعى مرافقه بعد أن أعتلت الجلبه إلى تصويب بندقيته تجاه رفيقه قائلا واللّه أن ذبحته لذبحك .. تبغي تقطع رزق الضعوف ياضعيف ..!!

ومع أعتلاء الصوت والجلبة أحاط بهم عبيد ومرافقي بخيت بن شلوان (رحم اللّه الجميع برحمته) بأسلحتهم فألتفت بعد أن أنهى صلاته بعجل قائلا لهما :أرحبو حياكم اللّه .. مهما كنتوا فقد وصلتوا وأخذ بالترحيب بهم سائلا أياهما إلى أين يعودون فأجابوه على مضض وبعد تردد نحن من البشران وعرفا عن نفسيهما فرحب بهم محتفيا ومصرا على أكرامهما ومؤكدا في الوقت ذاته أنهما في جواره وتحت حمايته ولا يمكن لأحد المساس بهما حتى عودتهما لحدود قبيلتهما .

مما دعاهما لإجابته بعد الحاح شديد إلا أنهما أشترطا تناول وجبتهما في نفس المكان وهو ماحدث ثم بعد أنتهاء الوليمة عادوا أدراجهما إلى قبيلتهما .

الشاعر الكبيرحنش المطاعي

وقصيدته التي حقنت الدماء



ضاقت الدنيا بما رحبت فقرا ومعوزة على ذلك الصبي العمري اليتيم فلم يكتفي الزمن بحرمانه من والديه منذ طفولته حتى أضاف إليها فقدانه للأيدي الحانية إذا لاأخوة ولا أعمام فهو (مقطوع الشجرة) في الوقت الذي كره فيه أن يكون عالة يتعيش من صدقات أهل قريته المعاقبة وهي إحدى قرى بني عفيف في السراة لهذا خرج من قريته وعالمه الصغير قاصدا السعي وطلب الرزق في وقت كانت فيه الأحوال الأقتصادية سيئة ليس فقط في المنطقة وإنما في كافة أنحاء جزيرة العرب وحينها كانت الفرص شحيحة ومحدودة لهذا نزل قاصدا تهامة وأخذ يتنقل مابين قراها طلبا للعيش حتى وصل إلى الجائزة وبالتحديد لدى قرية آل ساعد وهي أحدى قرى السوحة العائدة لقبيلة بني حرب في تهامة .

والذين أظهروا بما يملكونه من طيب نفس الترحيب والرغبة في مد يد العون لهذا الطفل وأوكلوا إليه مهمة رعي الأغنام وتعاملوا معه كما لو كان أحد أبنائهم وهو أيضا لما لمسه من حسن معاملة أندمج معهم في معيشتهم وعاش معهم حتى شبّ وكبر في وقت كانت علاقاته غير منقطعة مع جماعته بني عفيف في تهامة إذ كان يزورهم في المواسم والأعياد .

إلا أنه في إحدى الأيام أختفى الشاب فجأة من المشهد عن الجميع في ظروف لايعرف عنها أحد .

وفي ظل عدم تواجد أقارب مباشرين له يسألون عنه فإن الأمر لم يلحظ في البداية إلا أن غيابه المفاجيء والذي طال كان محل ملاحظة أقرانه فكثر اللغط والحديث وكبر الأمر مع تزايد الوقت مما دعى قبيلة بني عفيف لإرسال وفدا (قبل) إلى آل ساعد لتخفيف

التوتر مابين القبيلتين في ظل إتهامات صريحة من بني عفيف لآل ساعد بقتل الشاب وأخفاء جثمانه وهو الشيء الذي نفوه بشدة مخبرين أن الشاب خرج سليما من قريتهم بكامل إرادته بعد أخذه لأجرته المعتادة .

وأخذ بعضهم بالحلفان لتأكيد صدق مايقولون وهو الأمر الذي لم يجد صداه لدى بني عمرو وقالوا زيادة على يمينكم فنحن نبغي نقطع الشّك باليقين ويحلف منكم خمسة وعشرين رجال على أنكم ماتدرون عن غيبته وإلا طالبناكم بدمه حينها خرج لهم أحد كبار السن من أبناء القرية مطالبا أياهم بالبينة في أتهاماتهم أو يحددون شخصا بعيّنه حتى يمكن القاء التهمة عليه أما بهذا الوضع فأنه لايعقل أن يتم أتهام جماعة بأكملهم على جريمة لم يرتكبوها ..!!

ومابين الاتهام والنفي مابين الطرفين طال النزاع وكثر اللغط وأتفق الطرفان على الأحتكام للحكم القبلي وحينها دخل الشاعر الكبير والداهية حنش المطاعي (رحمه اللّه تعالى) في الأمر رغبة منه في إنهاء النزاع الدائر وهو الأمر الذي لقي الرضا من الطرفين لما له من قبول لديهم فحنش رحمه اللّه وكافة المسلمين أشتهر بالعدل والإصلاح والحكمة بجانب مخافة اللّه لذا دعى الطرفين للالتزام بلغة العقل والأجتماع للصلح والذي حدد مكان له يتمثل في سوق الأربعاء والكائن في وادي بوا (يعد من الأسواق القديمة التي أندثرت) .

وبعد تحديدة للسوق كمكان للصلح أبتدع قصيدته التاليه موجها إياها إلى قبيلة آل ساعد وقال فيها :

يا سلامي على حربين وأختص جيش الساعدي
والتحيه نثنيها لقيف(ن) ضوينا* في مراحه
واجب إنا نكملها لمن قال زلوا* مرحبا
الذي يمّن المختاف* والضيف واللي حل حوله
والرفيق الذي يمشي في الدرب ياصل مأمنه
إن نحن لبسكم من شام يا لبسنا منا ويامن
مثل صور(ن) على حد الطوارف به الباني بنا
ما تزوعه* رعود البحر وإلا الرعود الشرقويه
والبروق الذي بالعرش ما يرتعد من لهبها
مانزل فوق حد الطارفة غير حربي(ن) وعمري
أندروا حجرة الشغبان* وانحن تعدينا الحمّه*
بين فرقان أبالحارث نصبنا البيارق للصباحي
ثم جينا بميلان القبايل وزلت من رحبّ*
وأن حزّبنا* على خصامنا ناخذ الحق من نهاره

يـوم تـعـوي ذيـاب الـشـرق ربـعـي تـقـرب عيدها
كم عميد(ن) تمنانا وعـوّد صدر ما أوفى بقيله
والـنـوافـع* نـحـتّـيـهـا بـدمـه ويـكـسـع* نـادمـي
وإن تعزويت في يوم الشقا ماأعتزي إلا بالعمارا
الـذي زربّـوا بـيـضـان* وأنـصّـح وريـعـان الـسـلـف*
جـدنـا مابـنـى إلا ع الـصـفـا ما بنى ويلا هياله*
مثل قيف(ن) كما نو(ن) تلايم عطونه* ماأنفرق
يـوم جـرّ الـمـخـايل* قال كل(ن) علينا مر فاقه
والتهمنا* شـروط الـديـن حـتـى جـمـعـنـا فرضنا
والـذي يـبـغـي الـجـنــه فـ بـيـبـانـهـا لـه فـاتـحـه

ثم عاد للرد على نفسه قائلا :
إستمع يالبّاس الجنب ياللي تفيي ساعدي
وان تعلمت معنا فـ القراية ترا التعليم راحة
لا تسوي كما اللي لا قرينا معه فـ المرح ابا
قلت يا أهل المصاحف علموا جاهلا ما حل
حوله

قبل يصفق عليه البحر والا يجيه الماء منه

اما أنا ما بي إلا قاريـ(ن) بعد يمّتّا ويأمن

يفتكر فـ الذي بكره ولا يستشير إلا بنا

والمداوي يداوي بالقلم كل علة شرّقوية

والتواصيف عندي جوف الأوراق يامن له بها

قالها شاعر القوم الذي يعمرون الشور عمري

كل طرقـ(ن)يغني به على كل معنى والحمه

والذي يبغي الممشا معي لا بدا نجم الصباحي

يعبر المد إلا قالوا من اكأقصى سواكن مرحب

وان شربنا مع الشراب ما نشرب إلا من نهاره

والضوامي تقف على الجم حتى يقرّ بعيدها

والذي يبغي المهله فلا انا بداري وش بقي له

وان بغى يستلف منا فلا يستلف منا آدمي

والذي مـ العرب ينقد كلامي وفي عقله عمى را

ينشد أهل الوفا لا قالو اي ضيفة الصاحب

سلف

والله انه ليلقا عندنا مثلها واي لا هيّا له

لا هيّا لا هيّا منها تجي معبره والا فرق

والله ان المجازى شين إلى منه أصبح م الرفاقه

كمّن اليوم تمسي ف أرضكم ثم تصبح فـ أرضنا

سابلونا على هذي ونقرا عليها الفاتحه

كلمة قبل الختام

لامناص منها

أحبتي الأكارم أود إيضاح عدة نقاط تتعلق بما تم طرحه من قصص وأحداث إن أصبت فيها فمن اللّه وفضله وإن أخطأت فهو أجتهادا هدفت منه الوصول للصواب قدر ماأستطعت .

حاولت فيما كتبته الخروج بالمضمون عن الشكل التقليدي المتبع في الكتب المشابهة ونقلت الوقائع والأحداث بتصرف ملائم للحدث وزمنه وبشكل حاولت فيه إلتزام الحيّاد قدر الأستطاعة .

كما أود التنويه بأن ماطرح في هذه القصص خاصة مايتعلق منها بالثأر لايعني بتاتا الموافقة على ماتم فيها فنحن أولا وأخرا مسلمون نأمن بأن لاتزر وازرة وزر آخرى والقتل عظيمة حرمها الخالق مابين عباده إلا ماكان منها منعا لضررا كبير أو صدا لعدوا غاشم أو تطبيقا لقصاص شرعي لذا ففترة ماقبل الحكم السعودي كانت فترة فيها من الفوضى الكثير

وهذا الأمر بطبيعة الحال لايختص بقبيلة دون آخرى بل يشمل جميع قبائل المملكة أما في العهد السعودي الحاضر فجميع القبائل ولله الحمد متعايشة مع بعضها ويسودها الوئام والود والمحبة والمصاهرة لذا تجدهم أخوة متحابون يقفون في صفا واحدا تحت راية لاإله إلا الله محتكمين إلى المنهج الإلهي والشرع المطهر الذي سنته هذه الدولة الرشيدة منذ نشأتها وماتم طرحه من ثأرات بين القبائل في القصص السابقة كان من باب تبيان عظم حقوق الجيرة لدى قبيلة بجيلة التاريخية إنتقالا إلى وريثها الشرعي ممثلا في قبيلة بني مالك الحجاز وحرص أبناؤها وتمسكهم حتى الموت بحقوق هذه الجيرة بما فيها حماية الضيف ورفيق الطريق وحرمة دم كل قاصد أو حتى عابرا لأراضيهم .

يضاف لما سبق تكرار مايمكن تسميته (حرمة الزاد) التي تحرم دم صاحبها من أي تجاوز أو أعتداء مهما كانت صفته وهذا مارأيناه في حوادث سابقة ولهذا أرتأيت أستجابة مني لدعوات عزيزة توثيق هذه الوقائع التاريخية والتي وقعت أحداثها في فترات متفاوته من تاريخ غلبت مكارمه مساوئه .. واللّه من وراء القصد .

*الخوامس :

مسمى الخوامس لدى قبائل الحجاز يقابله مسمى (العريّفه) لدى قبائل الجنوب وهو شيخ على عائلته حتى خامس جد ويعد كممثل لهم بحيث يطلق على كل فرد منهم مسمى (خامس) .

*الحمى :

عبارة عن أراضي أو منطقة تخضع للحماية من قبل القبيلة أو القرية ويفرضه فإنه يمتنع على غيرهم الرعي فيه أو أقتصاص جزء من أعشابه وأشجارة كما يحرم المساس بأي مستجير أو لاجىء لهذا الحمى .

*التفويز :

نوع من الأحتفال بإدراك الثأر والنقا فيه وهو لون من الألوان الشعبية القديمة المندثرة يقوم من خلاله صاحبه بالقفز ببندقيته بفخر بما يشبه عرضة الحرب وهو يردد أبياتا

مناسبة للتعبير عن أخذه لثأره وكمثال لها مافعله أحد أبناء القاسم (أبا النعيم) قديما حين قتل أحد شجعان البشران من (بني حرب) وكان يسمى خلف والذي قال متحديا لخصومه إذا لحقتوني فأدبغّوا جلدي وأملوه رقّة وبعد مقتله أخذ للقاسمي بالتفويز قائلا :

قـوّزي يـاحـلـة القسّـم

وأي خلف خالفت ضلعانه

- تمت بحمد اللّه وفضله

علما بأن هذا ماتم طرحه هنا يعد بمثابة تجربة
وبروفة أولية يمكن من خلالها الإضافة والتنقيح

الـمـحـتـويـات

أحداث من الديرة
تلخص معاني الجيرة